علاقة الحافظ شمس الدين السَخاوي بـأقرانه؛ الظاهرة، الأسباب والنتائج

د. عبـد الرؤوف ظفـر * و د. كمال عبد الفتاح فتوح **

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٨/٣/٤م تاريخ قبول البحث: ٢٠٠٨/١٢/١٦م

ملخص

لم تكن المنافسة الحادة التي استشرت بين كثيرٍ من العلماء محصورةً بفترة زمنية معينة أو القرنين الهجريين التاسع والعاشر المقصودين في هذه الدراسة؛ بل امتدت لتشمل علماءَ مرموقين في مراحل تاريخية مختلفة، حتى باتت كالظاهرة التي تستحق أن تُدرس من مُختلف الجوانب لتُعرف أسبابها ونتائجها، وهو ما حاولتُ في هذه الدراسة القيام به، ملقياً الضوء على علاقة السخاوي مع بعض أقرانه حيث طغى عليها طابع المُنافسة والمُناكدة على الرغم من منزلته العِلمية العُليا التي أقرَّ الجميع له بها، سيَّما ذلك النزاع العِلمي والشخصي الذي كان دائراً بينه وبين الحافظ السيوطي.

قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، عرَّفنا في التمهيد بالسخاوي وعصره، بينما تحدَّثنا في المبحث الأول عن هذه الظاهرة وعن علاقة السخاوي بأقرانه بشكل عام، خصصنا المبحث الثاني للأسباب الشخصية العالقة بينه وبين الحافظ السيوطي، وتحدثنا في المبحث الثالث عن الخلافات العِلمية التي أدَّت إلى اشتداد هذا النزاع واستمراره، وعَرضنا في الخاتمة آثار هذا النزاع ونتائجه.

Abstract

The competition among Olamas was not only limited in last era or ninth and tenth centuries of Al Higra; the era of this study; but it was happening in the Islamic History among most of our Olamas, I focused in this study on that coral between Imam Shams Din Sakhawi and some other Olamas; specialy Imam Suyoti.

The efforts of Imam Sakhawi and his services in Hadith sciences are very clear through his written books, and Majales Alrewaia Wa Imlaa Alhadith (narrating of Hadith) and his scientific journey to many Muslim countries; but his relationship with his college and other Olamas need to study it deeply to recognize the reasons and result of that coral or bad competition, the points which I tried to study it deeply in this topic from deferent sides.

I divided this study into introduction, preface, three chapters, and conclusion.

The preface is about Imam Sakhawi and his era, where is the first chapter about the general relationship between Olamas, specialy Imam Sakhawi and other Olamas, the second chapter is about the individual and social reasons which caused that bad relationship between Imam Sakhawi and other Olamas; specialy Imam Suyoti, The third chapter is about the scientific reasons to that coral or bad competition among the Olamas in that era.

In the conclusion I mentioned the important effect of that coral, and its result briefly.

تقديم:

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد؛ فقد باتت مسألة المنافسة الحادة أو التنافس العِلمي المذموم بين العلماء الأقران؛ والتي خرجت في كثيـر من الأحيان عن الحدِّ الشرعي المحمود؛ باتت ظاهرةً تستحق أكثر من وقفة لدراستها من جوانبها المختلفة وبيان أسبابها ونتائجها، وذلك لانتشارها ولو بنِسَبٍ متفاوتة في كثيرٍ من محطَّات تاريخنا الإسلامي المَديد؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد استشرت هذه الظاهرة وانتشرت بين عُلماء أجلاء كانت لهم المكانة

* أستاذ مشارك، قسم الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، باكستان.

** أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، باكستان.

العِلمية المرموقة في مختلف حقول المعرفة، وشُهد لهم حتى من أقرانهم بالصلاح والتقدم العِلمي.

ونظراً لانتشار هذه الظاهرة وامتدادها لتشمل فترة زمنية طويلة لا يمكن لهذه الدراسة أن تستوعبها؛ فقد اقتصرنا في دراسة هذه الظاهرة على القرنين الهجريين التاسع والعاشر، حيث استشرَت هذه المنافسة المذمومة بين العلماء وباتت مَعلماً من المعالم الثقافية البارزة لتلك الفترة، سيَّما فيما يتعلَّق بالحافظ السَّخاوي وعلاقتــه بأقرانه التي كانت حافلةً بكثيرٍ من التقلبات والمنافسات المذمومة؛ حتى باتت من أشهر ما يعرفه الناس ويتناقلونه في أحاديثهم عن تلك الفترة، سيَّما علاقته بالحافظ السيوطي وغيره من أقرانه، فيقفُ بعضهم مع هذا أو يؤيد بعضهم ذاك، دون معرفة بأسباب هذا الخلاف وجذوره أو حتى نتائجه وآثاره السلبية، وهو ما حاولتُ إبرازه والتركيز عليــه في هذه الدراسة ضمن النطاق الزمني المشار إليه آنفاً.

وقد قمنا بتقسيم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة؛ فبعد أن عرَّفتُ بالسَّخاوي وعصره، قمتُ في المبحث الأول بدراسة هذه الظاهرة متحدِّثاً عن علاقة السَّخاوي بأقرانه وما كان سائداً بين الأقران بشكلٍ عام، وفي المبحثين الثاني والثالث؛ تحدَّثنا عن الأسبــاب الشخصية العالقة والخلافات العِلمية التي أدَّت إلى اشتداد المنافســة والنزاع بين الحافظين السَّخاوي والسُّيوطي، فخصصنا المبحث الثاني للأسباب الشخصية بينهما، بينما تحدثتُ في المبحث الثالث عن الأسباب العِلميــة التي أدَّت إلى اشتداد هذا النزاع، وختمنا ذلك بطرفٍ من النتائج والتبعات السلبية الناجمة عن هذا الاختلاف والمنافسة المذمومة، وتوخينا في ذلك كله الدقة والاختصار قدر الإمكان، والله المستعان وعليه التُّكلان.

التمهيد
تعريف بالسَّخاوي وعصره

تعريف بعصر[1] السخاوي:

عاش السَّخاوي في عصر المماليك الأخير؛ وهو عهــد فتنٍ واضطرابات سياسية واجتماعية، ليس فقط في مصر والشام الخاضعتين لحُكم دولة المماليك آنذاك؛ بل على مستوى العالم الإسلامي بعامّة، فقد تعرَّضت المنطقة إلى سلسلة من الحروب والكوارث الطبيعية أكلت الأخضر واليابس، أضف إلى ذلك ما عاشته البلاد من فسادٍ سياسي وتسلطٍ وظلمٍ، وقد أدَّت هذه الأمور وغيرها إلى حالة اجتماعية واقتصادية مُزرية[2].

وكان من المظاهر البارزة في ذلك العصر كثرة الخلافات المذهبية والتعصب المذهبي حتى استفحل الداء في بعض العلماء وانتشرت المساجلات بينهم لبعض الخلافات الفرعية، وصار أكثر الناس لا يُصلِّي بعضهم خلــف بعض، وصار في كل مسجد أكثر من مِحراب يُقام في كلٍّ منها جماعة بالتناوب لكل مذهــب على حِدة، وصار لكلِّ مذهب قاضياً يُفتي بمذهبه لأتباع المذهــب، وانتشر حُب المديح والفخر وكَثُرت الألقاب الرنَّانة الفارغة في كثير من الأحيان من محتواها؛ حتى بين العلماء المُصلحين ناهيك عن غيرهم من الأمراء والسلاطين وأصحاب النفوذ، وبدا واضحاً ارتباط هذه الظاهرة بتفكك الأمة وانحسار نفوذها، كما كثُرت البدع والخرافات حتى أن كثيراً من العلماء والمصلحيــن لم يستطيعوا مقاومة هذا التيار[3].

استمرت دولة المماليك قرابة الثلاثة قرون، وتحديداً من سنة: ٦٤٨-٩٢٣هـ، وبعد سقوط بغداد سنة: ٦٥٦هـ بيــد التتار؛ انتقل مركز الخلافة العباسية إلى القاهرة برغبة من الأمراء المماليك لإضفاء الشرعيــة على حُكمهــم، لكن بقيت سلطة الخليفة رمزية صورية، وتركَّزت السلطات جميعها بيد السلطان وحاشيته من الأمراء المماليك الذين حكمتهم الفوضى والاضطرابات السياسية، فكان كل منهم يكيد للآخر ويتربَّص به؛ بسبب ضعف الوازع الديني عند أكثرهم، إضافة إلى أنهم جميعا من مستوى اجتماعي واحد، لذا ساد الحسد الذي جرهم للقتال فيما بينهم والكيد للسلطان لتسلــم السلطة بعده[4].

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الأحوال الثقافية والعلمية أفضل وَضعاً ولو نسبياً؛ من الأحوال السياسية

والاجتماعية والاقتصادية للناس، فبعد سقوط بغداد تحوَّل العلماء والأدباء إلى مصر والشام ونهض العلم في هذين المصرين، ولمَّا كانت القاهرة مركز العالم الإسلامي آنذاك تطلَّعت أنظار العلماء إليها حتى غدت مركزاً للعلم والثقافة، وكان لتشجيع التجار والأغنياء وبعض السلاطين والأمراء للعلم وأهله مادياً ومعنوياً أثر بارز في النهضة العلمية في ذلك العصر.

وكان من مظاهر تلك النهضة العلمية على الرغم من سوء الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ كثرة المدارس العلمية وازدهار الأوقاف المحبوسة على طلاب العلم، وإغداق الأغنياء وبعض الأمراء على هذه المدارس وأهلها.

كما كثر النوابغ من العلماء وانتشروا في حواضر العالم الإسلامي، وإن لم يكن في إنتاجهم كبير تجديد أو ابتكار، وكاد ينحصر إنتاجهم بالشروح والتحاشي لولا بعض العلماء الذين حاولوا التجديد وفتح باب الاجتهاد الفقهي، هذا على الرغم من وجود بعض المؤلَّفات القيمة في مختلف حقول المعرفة والتي يندر وجود مثلها؛ فقد نشأ في ذلك العصر نمط جديد من أنواع التأليف، وهي المؤلَّفات العِلمية المشتملة على أنواعٍ متعددة من المعرفة، أو ما يُعرف بالموسوعات العلمية بلغة العصر الحديث، لكن قُدِّر أن تكون تلك المحاولات محاولات فردية لم يُقيَّض لها مَن يستمر بها أو يُنمِّيها.

وقد كثرت المؤلَّفات في ذلك العصر كثرة مدهشة، لكن كان الكثير منها مكرَّر مُعاد قام بتأليف مثله غير واحدٍ في فترات متقاربة، فعلى الرغم مما توفَّر من دعم وتشجيع إلا أن الجهود لم تكن منظمة أو موزَّعة على العلماء ليخرج إنتاجاً علمياً متكاملا في مختلف حقول المعرفة، ولعلَّ التنافس الشديد الذي كان سائداً بين العلماء في ذلك العصر من الأسباب المهمة التي أدت إلى ذلك، حيث ما كاد يُؤلِّف أحدهم في موضوع ما، حتى يبادر أقرانه للكتابة في ذات الموضوع غاضيين من ذاك الكتاب مبرزين أهمية كتابهم بدافع من روح التحدي والمنافسة(٥).

ولعلَّ من أسباب هذه النهضة العِلمية النسبية على الرغم من الظروف الاجتماعية والسياسية القاسية؛ روح التحدي الحضاري التي سادت الناس بعد سقوط بغداد والحروب الصليبية المتكررة، إضافة إلى الدعم والتشجيع والتعاطف الذي لقيه العلماء، وكثرة الأوقاف والمراكز العلمية وغير ذلك(٦).

ومن الملاحظات العلمية المهمة في ذلك العصر؛ ضعف اللغة العربية وانتشار اللغة العامية الدارجة(٧)، وبدا واضحاً تأثير اللسان الأجنبي في اللغة العربية في الخُطب والمناسبات العامة، وإن بقيت لغة الكتابة والتأليف سليمة نسبياً من هذا التأثير السلبي والطبيعي في نفس الوقت للغات الوافدة.

تعريف بالسَخاوي:

هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن عثمان بن محمد، شمس الدين أبو الخير وأبو عبد الله، السَّخاوي القاهري، وأصل عائلته من عرب بغداد هاجر أجداده منها إلى مصر واستوطنوا مدينة سَخا(٨) فنُسبوا إليها.

ولد في شهر ربيع الأول؛ سنة: ٨٣١هـ الموافق سنة: ١٤٢٧م بمدينة سَخا، وتوفي في المدينة المنورة يوم الأحد في الثامن والعشرين من شهر شعبان؛ سنة: ٩٠٢هـ الموافق سنة: ١٤٩٧م(٩).

كان من أبرز مشايخه؛ الحافظ أحمد بن علي ابن حَجر العسقلاني(١٠)، والعَلَم صالح بن عمر البُلقيني(١١)، والحافظ شرف الدين محمد بن أبي بكر المَراغي(١٢)، والحافظ تقي الدين محمد بن محمد بن فهد(١٣)، وبدر الدين محمود بن أحمد العَيني(١٤)؛ الذي لم تكن علاقته بابن حجر حسنة، وكان بينهما ما بين الأقران من تنافس وغيرة، وقد لازمه السخاوي بعد وفاة شيخه ابن حجر، وجلال الدين محمد بن أحمد المَحلِّي(١٥)، وغيرهم.

كما كان له الكثير من التلاميذ الذين نَبغوا في حياته، وكانت لهم آثار علمية بارزة وشأن اجتماعي

كبير من بعده وساهموا بنقل عِلمه ورواية كُتبه ومؤلَّفاته منهــم: ابن الديبع عبد الرحمن بن علي الشيباني(١٦) والحافظ الشهاب أحمد بن محمد القسطلاني(١٧) وابن ظهيرة محمد بن عبد الكريم القرشي(١٨)، وابن الشمَّاع عمر بن أحمد الحلبي(١٩)، وابن الحيشي أبو بكر بــن محمــد الحلبي(٢٠)، وابن الشَّلح أبو بكر بن سليمان السُّلَمي(٢١)، وابن فهد عبد العزيز بن عمر الهاشمي(٢٢) وغيرهم كثير.

كما ترك الحافظ السخاوي ثروة من المؤلَّفات(٢٣) القيمة التي انتشرت وذاع صيتها في حياته، وأقرأ كثيراً منها طلابه وأملاها في مجالسه، لكنها تختلف في أهميتها وحجمهـــا وقيمتها العلمية من مؤلَّف لآخر، وإن كان بعضها عظيم الفائدة غزير المادة ندر وجود مثله، كالضوء اللامـــع في تراجم أهل القرن التاسع، إلا أن بعضها الآخر رسائل صغيرة وإجابات عابرة لمواضيع معينة تختلف في حجمها وقيمتها العلمية من مؤلَّف لآخر، ومما أود الإشارة إليه هنا أن مؤلَّفات السخـــاوي على كثرتها والتي بلغت أكثر من مائتين وستين كتاباً تكاد تنحصر كلها في الحديث النبوي وعلومه، وبالتاريـــخ على اعتباره علماً من علوم الحديث.

فالسخاوي على هذا عالم متخصص في الحديث النبوي وعلومه، موسوعي في تناوله للجزئيات والتفاصيل الدقيقة في هذا الباب، يكتب من حفظه ومما يرويه مسنداً عن شيوخه مع مشاركته في العلوم الأخرى، بخلاف السيوطي رحمه الله، الجَمَّاعة، الذي لم يترك باباً مـــن العلم إلا وجمع فيه معتمداً على ما وَقف عليه من كُتب وما وقع له من معلومات من بطونها قد تكون طريفة في كثير من الأحيان، وإن كان برع ولمع نجمـــه في اللغة والتفسير مع مشاركته في العلوم الأخرى، وهنا يكمـــن فضل كل منهما؛ فالسخاوي في النقد والتحقيق والسيوطي في الجمع والترتيب.

ومع ثروة المؤلَّفات القيمة التي تركها الإمـــام السخاوي فقد كان له اهتمام خاص برواية الحديث وإملائه في مجالس خاصة على تلامذته، بل وكانت هذه المجالس وما دار فيها من حوارات ومناقشات فقهية المـــادة الأساسية لعدد كبير من كتبه، وقام بإملاء عدد آخـــر مهم من كتبه خلال هذه المجالس بعد تأليفها وتحريرها، وهو الفن الذي برع فيه السخاوي وفاق جميع أقرانه، حتى بلغت مجالس الإملاء التي عقدها أكثر من ستمائة مجلـــس؛ عقد بعضها في منزله وأكثرها في مدارس علمية مختلفة.

المبحث الأول

الظاهرة: الأقران وما بينهما من منافسات

مما تجدر الإشارة إليه في بداية هذا المبحث؛ أنه وعلى مر العصور وفي مختلف مراحل التاريخ الإسلامي لم تهدأ المنافسة بين العلماء الأقران إلا لِماماً وفي ظـــروفٍ خاصة؛ مما قد يُعتبر حالات استثنائيةً لمـــا هو سائد في العادة بين الأقران من منافسة واختلاف، ومن المعلوم أن إثبات الذات أمر فطري وطبيعي بين المُتعاصريـــن؛ سيما مع اتحاد الصنعة، إذ إنّ الاتحاد في الصنعة يُخرج كُلا من المُتعاصرين عن طبعـــه، وهذه المنافسة بحد ذاتها من الأمور المهمة في تحقيق النهضة العلمية المنشودة في أي عصر، وهي من العوامل الفطرية في حُبِّ إثبات الذات بين بَني البَشر؛ مهما اختلفت مستوياتهم العِلمية والاجتماعية والثقافية، الأمر الذي يُحفِّز على الإنتاج والإبداع، وإن كان من الواجب أن تكون هذه المنافسة مقيدة بضوابط شرعية وعقلية ليس هنا مجال بحثها؛ لأنه وبدون هذه الضوابط تُصبح هذه المنافسة عَقبة في طريق التقـــدم العلمي، وتتحول إلى جو مشحون يؤدي إلى الشجار والتناحر والبحث عن أخطاء الآخرين وتصيدها وتُشغل العلماء في أمور قد تخرج بهم عن تخصصهم، وتجعلهم ينزلقون في مشاكل وتناقضات ومحاذير شرعية كان من الواجب أن يربؤوا بأنفسهم عنها.

ومع وجود هذه الظاهرة بمستويات متفاوتة بين أكثر العلماء في مختلف الأزمنة والأمكنة، إلا أنـــه من الملاحظ أن ظاهرة الاختلاف والمنافسة الحادة بين العلماء

غيــر المضبوطة شرعاً قد ظهرت بشكل واضح في العصور الإسلامية المتأخرة[٢٤].

إن المُطلع على تاريخ تلك الحُقبة الزمنية يجد أن المنافسة كانت على أشُدها بين علماء مشهورين كانت لهم مكانة علمية مرموقة؛ كالحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي[٢٥] وعددٍ من علمــاء عصره؛ الذين كان من بينهم الحافظ السَّخاوي، وكذلك ما كان دائراً بين الحافظ برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي[٢٦] وعددٍ من علماء عصره؛ الذين كان مــن أبرزهــم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد ابن فهــد الهاشمي المكي[٢٧] وغيره، ولعلَّ الاختلاف بين السيوطي والسَّخاوي؛ هو أشد ما كان دائراً بين عالمين في تلك الفترة، وامتدت آثاره حتى بعد وفاة كل منهما بين أحبابهما وتلاميذهما؛ كابن العُليف أحمد بن الحسين المكي[٢٨]، الذي تصدَّر للدفاع عن شيخه السخاوي حتى بعد وفاته؛ فردَّ على مقامة السيوطي "الكاوي" بكتابٍ أسماه "الشهاب الهاوي على مُنشئ الكاوي"، وانتقد السيوطي برسالته المعروفة "المُنتقد اللوذعي على المجتهد المُدَّعي"[٢٩].

ومــن اللافت أن بعض تلاميذ السخاوي حاولوا طيَّ صفحة الماضي والاعتذار للسيوطي، إلا أن الحافظ السيوطي رفض ذلك ولم يتنازل عن موقفه ولم يقابلهم، كمــا حصل مع الحافظ القسطلاني؛ فبعد أن نال منه الحافظ السيوطي واتهمه بالسرقة من كُتبه وأنه يَستمد منها ولا ينسب لها... حتى ألَّف فيه مقامته العجيبــة "الفارق بين المصنِّف والسارق" وبادله القسطلاني باتهامه بالغرور والتعالي على أقرانه، وأنكر عليه مع جملة العلماء بعض دعاويه؛ كادعائه الاجتهاد المطلق، ونحو ذلك، بادر القسطلاني للاعتذار منه وإزالة ما في خاطره، فمشى إلى باب دار السيوطي ودق الباب، فقال: مَن؟ قال: أنا القسطلاني جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليَّ، فقال: قد طاب خاطري عليك، ولم يفتح له ولم يقابله[٣٠] ونقل بعضهم أن القسطلاني ذهب مع زوجته إلى السيوطي ليعتذر له، فلم يأذن له، لأن النبي ﷺ كان ذلك الوقت جالساً عند السيوطي يُملي عليه الحديث![٣١] قال في "فهرس الفهارس": "فظهر من هذه الرواية الذي من أجله لم يأذن السيوطي له، لأنه كان في حالة انجماع باطني وتشخيص خاص، فَكره أن يقطع عليه حالته وتوجهه، وقال بعضهم: إن اعتذار القسطلاني كان بسبب إنكاره مع جملة العلماء على السيوطي ادعاءَه الاجتهاد المطلق، فأراد أن يتحلَّل من ذلك، والله أعلم، وهذا كله يدل على جلالة القسطلاني رحمه الله وتواضعه"[٣٢]. قلتُ: وتبرير الشيخ الكتاني على وجاهته لا يناسب السياق، فلو كان السيوطيُ جاداً في قبول الاعتذار لبادر في لقاء من تذلَّل له بعد انتهاء حالته الباطنية هذه، إذ لم يُنقل أن السيوطي التقى بالقسطلاني بعد هذه الحادثة، والله أعلم.

قد يظن البعض من خلال اطلاع جزئي على ما كان دائراً بينه وبين بعض أقرانه أن السَّخاوي كان سيء العلاقــة مع جميع أقرانه، والحقيقة أنه كان جيد العلاقة مع أكثرهم سوى بعض الاستثناءات مما تمَّ أو سيتم الإشارة إلى بعضه، فكبار أقرانه الذين كانت لهم المنزلة الاجتماعية والعلمية العُليا كانوا على علاقة وطيدة معه يحكمها الوداد، ومن خلال تصفح كثير من التراجم المنثورة في كُتبه المختلفة؛ نلاحظ كم كانت العلاقة قوية بينه وبين جُل أقرانه، وإن كان قد يُشم في بعضها رائحة التفاخر والتعالي وأحياناً الادعاء، لكن لم تصل المنافسة إلى الحد الذي يجعل كلاً منهم ينتقص الآخر بالشكل الذي كان دائراً بين السَّخاوي والسيوطي[٣٣].

على أن نظرة السخاوي لعِلمي "التاريخ" و"الجرح والتعديل" أو "نقد الرجال" وأنه باب لا يمكن إغلاقه، وأن "التاريخ" صفحة مفتوحة يجب أن تُقيَّد فيها الأحداث بأدق تفاصيلها ورموزها وأبطالها، وخيرها وشرها، ليستفيد اللاحق من السابق ويأخذ العِبرة والعِظة مما وقع به غيره من أخطاء، جعل السَّخاوي يُقيِّد أدق التفاصيل الخاصة في حياة المترجَمين، ويُبيِّن رأيه فيما ينقله من أحــداث؛ فنراه يمدح هذا أو يذم ذاك، وهو الأمر الذي

حدا ببعض النقاد أن يتهم الإمام السَّخاوي بالمشاكسة والغرور، أو يتهمه بالتطاول على كبار أقرانه، أو أنه لا يمدح إلا من يخافه أو يرجو خيره، وهذا بتقديري قد وقع فيه أصحابه نتيجة نظرة جزئية لبعض التراجم التي سطَّرها السَّخاوي في "الضوء اللامع" وغيره، ولا بدَّ من الملاحظة هنا أن السَّخاوي عندما يمدح أو يذم أو يُعدّل أو يُجرِّح بمصطلح أهل هذا الفن، فإنه لا يفعل ذلك لسبب من الأسباب السابقة، بل إنه يقوم بذلك بدافع أداء واجب "الجرح والتعديل" كما يعتقد؛ إذ لا يليق بناقد مثل السَّخاوي أن يمرر أموراً يراها خاطئة، ولذلك نراه ينتقد بعض شيوخه ويجرِّح بعض المقربين إليه من تلاميذه، وبالمقابل نراه يمدح بعضهم من هنا وهناك، والمعيار عنده هو ما تقدَّمت الإشارة إليه[٣٤].

نعم لقد تسرَّع السَّخاوي في بعض أحكامه التي أصدرها عن رجال عُرفوا بالعلم والرصانة مع أنه بَنى ذلك على ما نقله عن شيوخه، وهو بذلك قد أُتي من الباب الذي حرص على إحكامه وهو من جُملة النقص المستولي على بني البشر، على أن تحامل السخاوي على كبار أقرانه مسألة بشرية، ولا يمكن تجريد أي إنسان عن بشريته؛ لأن المعاصرة توجب المنافرة، والاتحاد بالصنعة يُغير من كلٍ من المتعاصرين طبعه، وقد ورد أن عدوَّ المرء من يعمل بعمله وذلك لشدَّة حرص الإنسان على الانفراد وفسحة أمله[٣٥] والكمال لله وحده، مع أن التحامل الذي وقع من السَّخاوي ضد كبار العلماء أو ضد بعض أقرانه كانت له أسبابه الخاصة والعامة؛ وهو ما حاولنا تجليته في المبحثين الثاني والثالث، إلا أن التحامل على ابن خلدون رحمه الله مثلاً؛ مع أن التحامل والتعصب ليس بمقبول من أي طرف كان، سيما بواحد مثل السخاوي تصدَّى لنقد الرجال ودعا إلى الموضوعية في أكثر من مناسبة، فمعلوم أن ابن خلدون كان مغربيا، ومعلومة شدة المنافسة التي كانت بين مصر وبين المغرب العربي من جهة، وبين مصر والمشرق الإسلامي سيما بلاد الشام من جهة أخرى، ومما أثار الحفائظ ضد ابن خلدون حين توليه قضاء المالكية في مصر أنه لم يقم لأحد من الأعيان حين قدموا للسلام عليه، وقام بتعزير بعض الأعيان، ورفض تغيير زيّه المغربي التقليدي، سيما وأن بعضهم كان يعتبره طريداً غريباً، لم يأمن على نفسه حتى في بلاده، فدخل مصر معززاً مكرماً حتى ولِي قضاء المالكية فيها، لكنهم مع ذلك لم يجدوا منه الردَّ الجميل الذي كانوا يتوقعونه!، إضافة إلى بعض التقريرات التي خالف فيها القوم؛ كتصحيحه نسبة الفاطميين إلى علي بن أبي طالب ﷺ، ولعلَّ الخلاف الكبير في العادات الاجتماعية والطباع بين المغرب ومصر له أثر واضح في هذا[٣٦].

ولذلك فإن المنافسة المذمومة التي وقع بها السَّخاوي تكاد تنحصر مع اثنين من أقرانه؛ الإمام برهان الدين البقاعي والإمام جلال الدين السيوطي؛ أما فيما يتعلق بالإمام البقاعي، فهذه المنافسة الشديدة بينهما ليست لها أسبابها الواضحة سوى بعض المسائل الشخصية العالقة؛ حتى بالغ السخاوي في الحطِّ منه وإظهار عيوبه وهفواته، وهذا لا يليق به وهو الذي دعا إلى الإنصاف وقول الحق[٣٧]، إضافة إلى نوع من الحدة وجدتها في الإمام البقاعي، بحيث إنّه كان طيب القلب سريع الغضب سريع البادرة والرجوع للحق، وكان إذا غضب قال كلاما يرجع عنه بعد رضاه، حتى إنّه مدح السخاوي وأثنى عليه في ساعات الرضا أكثر من مرة؛ ومن ذلك قوله في بعض السِّجالات العلِمية: إن وافقني السخاوي فلا يضرني مَن خالفني[٣٨]، مما حمل البعض أن يتهمه بالتناقض غاضين الطرف عن طبيعة الرجل وطبيعة عصره وأقرانه، ولا شك أن في هذا ظلم ومجافاة.

ومن الحوادث التي تدلل على وجود تلك الحدَّة في الإمام البقاعي رحمه الله؛ رميه جيرانه بالنشاب حين غضب عليهم ومُنع على إثرها من تدريس الحديث مدة، وهمِّه بقتل أحد أقرانه في مجلس الإملاء، بعد اختلافهما في بعض المسائل العلمية وتنافسهما في قصائد شعرية، ويبدو لي أن انتماء البقاعي إلى قبيلة بني حَسَن المعروفة في بلاد الشام؛ جعل العقلية القبلية تُسيطر عليه؛ ومن

الأبيات المشهورة عنه:

إنـــا بنـــو حسن والنـــاس تعرفنـــا

وقت النِّزال وأسد الحرب في حنـــق

كـــم جئتُ قفراً ولم يسلك به بشـــر

غيري ولا إنس إلا السيف في عُنقي

وحَمل البقاعي بشدة على الصوفية وكفَّرهم وكفَّر من لم يكفرهم؛ وألَّف في ذلك "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" و"الفارض في تكفير ابن الفارض!" و"تحذير العباد من أهل العناد" وغيرها، وانبرى الإمام السيوطي للرد عليه، فألَّف في ذلك "تنبيه الغبي إلى تبرئه ابـــن عربي" و"قمع المعارض في نصرة ابن الفارض"، وكفَّر كل منهما الآخر، ولذلك كان البقاعي كثير الخصومة مع أقرانه؛ إلا أن أسباب هذه الخصومة غير واضحة، سيما وأنها طالت كبار العلماء في ذلك العصر كالإمام نجم الدين ابن فهد الهاشمي وغيره؛ حيث امتنع الأخير من دخول الإسكندرية معه في رحلته الأولى إليها بسبب ما حدث بينه وبين البقاعي من اختلاف وشجار خلال الرحلة إليها مع كونهما قد ترافقا من بداية الرحلة(٣٩).

ومن هنا يبدو أن خلاف البقاعي كان على أشدِّه مع السخاوي إضافة إلى السيوطي، إضافة إلى آخرين غيرهما، وأسباب خلافه مع السيوطي كانت فكريـــة علمية، فضلاً عن المنهج الفكري والسلوكي الذي اختطَّه كـــل منهما في حياته، تحوَّل هذا الخلاف العلمي إلى اختلاف شخصي فيما بعد، بينما خلافه مع السخاوي كان شخصياً سببه اختلاف الطبائع، لكنه ازداد وتعمَّق ليتحوَّل إلى شجار ومنازعة؛ نتيجةً لطبيعة كلٍّ منهما والحدِّة التي كان عليها الإمام البقاعي، رحم الله الجميع.

أما فيما يتعلق بالإمام السيوطي فكانت الخصومة على أشدها بينه وبين السَّخاوي حتى ألَّف السيوطـــي ضده عدة رسائل ومقامات، وترجمه السَّخاوي ترجمة مظلمة في "الضوء اللامع" وأكثر من التعريض به في مناسبات عديدة بعد أن مدحه وأثنى عليه في أكثر من موقع؛ فقد مدحه في نهاية ترجمة والده أبي بكر؛ حيث قال: وهو والد الفاضل جلال الدين عبد الرحمن أحد من أكثر التردد إليَّ ومدحني نظماً ونثراً نفع الله به، على أن السخاوي بعد ذلك صار يتحامل على السيوطي ووالده؛ بل وكل من يلوذ به، فاتهمه بالحمق والإعجاب بالنفـــس والهوس والكذب والحسد وغير ذلك ممـــا لا يليق بهما(٤٠).

ورد عليـــه السيوطي بمقامة سمَّاها "الكاوي في تاريخ السَّخاوي"(٤١) ولم يترجم له في "حُسن المحاضرة"، وترجم له ترجمة مظلمة في "نظم العِقيان"(٤٢).

ويبدو أن الإمام السيوطي كان كثير الاعتداد بنفسه ارتأى لنفسه منزلة لم يقتنع كثيرٌ من معاصريه أنه يستحقها، هذا مع حدة في الرجل وسلاطة لسان(٤٣) وشدة فصاحة وبيان، الأمر الذي جعله كثير الخصومة مع أكثر أقرانه ومعاصريه، حتى كانت علاقته بأقرانه بشكل عام ليست على ما يُرام، فألَّف ضد كبارهم وقال في بعضها كلاماً لا يليق، فمن مقاماته ضد السَّخاوي: "الكاوي في تاريخ السَّخاوي" و"المقامة السُّندسية" في تنزيه والدي النبي ﷺ، وألَّف ضد الإمام إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الكَرَكي(٤٤) أكثر من مقامة ورسالة منها "الدوران الفلكي على ابن الكَرَكي" و"طَرز العمامة في التفريق بين المقامة والقمامة" و"المقامة الكلاجيـــة في الأسئلة الناجية" و"الجواب الزكي عن قمامة ابن الكَركَي"(٤٥).

وألَّف ضد الإمام القسطلاني مقامته المُسمَّاة: "الفارق بين المصنِّف والسارق". وضد الإمام إبراهيم بن علي النُّعماني؛ وهو من شيوخ السيوطي المرموقين!(٤٦) مقامته المُسمَّاة: "ساحب سيف على صاحب حَيف"، وألَّف ضد الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الأمشاطي(٤٧) قاضي الحنفية "عمدة المُتعقِّب في الرد على المُتعصِّب"، وألَّف ضد الإمام محمد بن عبد المنعم الجَوجَري(٤٨)؛ وهـــو من شيوخ السيوطي أيضاً؛ "اللقط الجوهري في رد خباط الجَوجَري"، وكذلك "اللفظ الجوهري في رد خباط الجَوجَري"، وألَّف "الكر على عبد البر"(٤٩) ضد الإمام

عبد البر بن محمد ابن الشُحنة الحلبي[٥٠] إضافة إلى الرسائل التي كتبها السيوطي ضد شيخه الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الباني[٥١] وغيره.

أما رسائل الإمام السيوطي الأخرى التي تحدَّث فيها عن نزاعاته مع أقرانه فهي متعددة، منها: "الاستنصار بالواحد القهَّار" كتبها في آخر حياته، و"المقامة اللؤلؤية" في الشكوى من أهل عصره، و"المقامة المزهرية" وتسمَّى "النُّجح في الإجابة إلى الصلح" بعد أن ملَّ الخصـام والشجار، فضلاً عن كتابه "التحدُّث بنعمة الله" وغيره، بالإضافة إلى ما ألحقه في كتبه المشهورة من هذا القبيل، والرسائل والكُتب التي ألَّفها لتوضيح المسائل التي خالفه فيها بعض أقرانه، وستأتي الإشارة إليها لاحقاً.

أما أسباب هذا الخلاف فغير واضحة تماماً، وربما يكون ما سأذكره عن أسباب الخلافات بين السَّخاوي والسيوطي بعضاً منها، على أن لطبيعة ذلك العصر عموماً وما سادت فيه من بذور العصبية والتنافـس المذمـوم، أكبر عامل في إذكاء هذه النعرات، ولو أن العلماء شغلوا أنفسهم بغيرها لكان أجدر وأنفع.

أما محاولة إدراج الإمام فخر الدين عثمان بن محمد الدِّيَّمي[٥٢] ضمن أعداء السَّخاوي؛ فأظنها بعيدة عن الصواب، إذ أنصفه السَّخاوي حين ترجمه في "الضوء اللامع" وأثنى عليه خيراً، وإن كان يُشم في بعض ما ذكـره في ترجمته رائحة المفاخرة، إلا أني لم أقـرأ للسخاوي ولا لغيره ما يُشير إلى أنه كان سيء العلاقة معه، وكذلك فإن تتلمذ ولده الحافظ محمد بن عثمان الدِّيَّمي[٥٣] على السخاوي؛ يدل على أن العلاقة بينهما كانت طبيعية، ويبدو لي أنه أُقحم إقحاماً في هذه المنافسة بعد تفاخر السيوطي به على الحافظ السَّخاوي في بيتيه المشهورين:

قل للسَّخاوي إن تعروك مشكلـة
علمي كبحر من الأمواج مُلتطِـمِ
والحافظ الدِّيَّمي غيث الزمان فخذ
غرفاً من اليمِّ أو رشفاً من الدِّيَـمِ

المبحث الثاني
أسباب شخصية عالقة في النّزاع بين السَخاوي والسيوطي

بيد أن الحديث عن المشاكل العالقة بين السيوطي والسَّخاوي له عدة جوانب، ومن خلالها يُمكن التعرف على كوامن الخلاف وأسبابه[٥٤]:

١- تتلمذ السيوطي على السَّخاوي:

إن كان الإمام السيوطي قد طلب العلم على كثير من شيوخ مع السَّخاوي، أو اشترك معه في الطلـب على بعضهـم، إلا أنه من الواضح والثابت تماما أن السيوطي قد تلقى العلم والرواية عن السَّخاوي، لكنه لم يُعد من كبار شيوخه، على الرغم من كون بعض تلاميذ السَّخاوي أكبر من السيوطي سِنًّا.

السيوطي في كتابة "التحدث بنعمة الله"[٥٥] قسَّم شيوخه إلى أربع طبقات، ذكر أسماء شيوخه في الطبقات الثلاث الأولى، ولم يذكر أسماء الرابعة لعدم الحاجة إليها لأنه لم يروِ عنها شيئاً لا في الإملاء ولا في التخريج أو التأليف وإنما حضر مجالسهم، ثم أحال إلى معجمه الذي جمع فيه شيوخه، وهذه الطبقة -كما قال- لتكثير العدد وتكبير المعجم!؟ ولعله ذكر السَّخاوي فيها[٥٦].

ومن حساب الفرق بين مولديهما يتبيَّن أن السَّخاوي ولد قبل السيوطي بثماني عشرة سنة، وهو فرق ليس قليلاً بالنسبة لأعمار البشر، وهي فترة كافية لأن يكون الكبير شيخ الصغير، بيد أن هناك بعض المحقِّقين من أثبت هذه القضية وجعلها من البدهيات[٥٧] استناداً لأقوال صدرت منهما أو من معاصريهما، من ذلك ما جاء في نهاية ترجمة والد السيوطي أبي بكر في "التبر المسبوك" حيث قال السَّخاوي منوِّها بفضل السيوطي: "وهو والد الفاضل جلال الدين عبد الرحمن أحد من أكثر التردد إليَّ ومدحني نظما ونثراً نفع الله به"[٥٨].

وفي ترجمة السيوطي في "الضوء اللامع" قـال السَّخاوي: "ولازمني دهرا وكَتَبَ إليَّ في نثر طويل: وقد تطفلنا على شمول سخائه وأنخنا ركاب شدتنا برحاب رخائه... الخ"[٥٩].

وفي نهاية ترجمة شمس الدين الباني(٦٠) قال السَّخاوي: "... وإن كان بعض طلبته ممن أخذ عني ونافرنا معاً قد خرَّج له عنهم جزءاً وقصده بذلك السيوطي. وفي "الإعلان بالتوبيخ"(٦١) أثناء حديثه عما أُلِّف في النُّحاة واللغويين، قال: "واعتنى بجمعها بعض من أكثر التردد إليَّ للاستفادة خصوصا في هذا النوع مستكثراً بما يلتقطه من أثناء تصانيف المترجَمين أو يظفر به في تعاليق الأئمة المعتبَرين من فوائد مبتكرة أو أبحاث غريبة زاعماً أن ذلك لا يقدر عليه إلا من جمع بين الروايـــة والفهم...".

أما الذي صدر عن السيوطي مما يؤيد هذه القضية؛ قوله في مقدمة كتابه "الشماريخ" الذي عارض به كتاب السَّخاوي "الإعلان بالتوبيخ" حيث قال: "وقفتُ لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ فلم أرَ فيه قليلاً ولا كثيراً يستفاد"(٦٢) ومنها قوله في إحدى مقاماته عن السَّخاوي: "فأما أحدهما: فقد كنتُ في زمن الشبـــاب ألممتُ بدروسه بعض الإلمام، وزرتها زيارة الطيف في المنام، فأنا أحفظ له هذا القدر وأُقيم في كل مـــا صدر منه العذر"(٦٣) بل إنه في مقامته "الفتّاش على القشّاش" وهي في محاربة القصاص والوضاعين، أشار إلى السَّخاوي وقرنه بشيخه الدِّيَمي، وسمَّاه الحافـــظ ووصف علمه بالظِّلال(٦٤). إلى غير ذلك مما بُث في ثنايـــا كُتب كل منها، الأمر الذي يؤكد مسألة تتلمذ السيوطي على السَّخاوي.

على أن السَّخاوي لم يتنكَّر للسيوطي ولم يزل حسن الرأي فيه، حتى صار السيوطي يعتبر نفسه أنه من أقرانه، ويتشدَّد في الإنكار عليه ويخالفه في مسائل؛ أقل ما يقال فيها أن الخلاف فيها وارد، بل ويوبخه على مخالفته، معتبراً أن خلاف السَّخاوي له من قبيـــل اتباع الهوى، ومن هنا يُفهم سر الخلاف الشديد بينهما؛ حيث يرى السَّخاوي أن السيوطي تلميذٌ متمردٌ لا يعترف بالجميل، بينما يرى السيوطي أن السَّخاوي نِدًّا تجوز مقارعته بصرف النظر عن مقامه أو منزلته.

٢ - تكفير السيوطي للسخاوي:

وقـــد جرَّ الخلاف والتناحر بين الرجلين حول قضية خلافية أساساً منذ زمن، ولم تُحسم حتى عصرنا هذا؛ ألا وهي "جواز رؤية النبي ﷺ يقظة" وخلاصة القصة؛ كما ذكرها السيوطي نفسه؛ أن السَّخاوي سُئل عن شخص يرى النبي ﷺ يقظة ويحدِّثه بأشياء، فأجاب أن ذلك مستحيل، وألَّف في ذلك "الإرشاد والموعظـــة لزاعم رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة"، وردَّ عليه السيوطي بمؤلَّفه "تنوير الحَلَك في إمكان رؤية النبي والمَلَك" وقال: "فقد كثُر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي ﷺ في اليقظة وأن طائفة من أهل العصر ممن لا قِدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك والتعجب منه وادعوا أنه مستحيل فألَّفتُ هذه الكراسة..."(٦٥).

مع أن المصادر التي بين يدي لم تسعفني للعثور على الإجابة الكاملة للسخاوي، إلا أنه من الواضح تماما أنه لم يقصد الاستحالة العقلية المتعلقة بقدرة الله تعالى، فليس عليه سبحانه مستحيل، لكنه قصد في تقديري الاستحالة الشرعية المتعقلة بالأشخاص المذكورين، إذ إنّ أحوالهم من وجهة نظره لا تدل على هذه الكرامة العظيمة، مع أن وقوع مثل ذلك لبعض الأشخاص ليس هناك ما يمنعه عقلاً وهي من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء، لكن العالم الناقد قد يحكم باستحالة ذلك بالنسبة لبعض الأشخاص استناداً لبعض القرائن، كأن يأتي بعضهم بأحكام وروايات لا يعرفها المحققون استناداً لذلك، بل للعالم أن يُحرِّم التصريح بمثل هذه الرؤى إن كان فيها فتنة للعوام، وإذا عُلم مدى انتشار التصوف المنحرف وكثرة المدَّعين أيام السَّخاوي بطُل العجب لحُكمه باستحالة ذلك.

والإمام السيوطي رحمه الله صوفي جليل له اعتقاد كبير بالصالحين، فقد ذَكر عن نفسه أكثر من مرة أنه توجَّه لقبر عمر ابن الفارض وقبر الإمام الشافعي للتوسل في طلب المعونة(٦٦)، كما ذَكَر له تلاميذه ومُريدوه كرامات عجيبة؛ منها سفره للحج وصلاته العصر بالحرم

وعودتـه بخطوات، ورؤيته النبي ﷺ في يقظته أكثر من سبعين مرة يتدارس معه فيها الحديث(٦٧).

وعندما سمع السيوطي جواب السَّخاوي السابق ذِكره، قال: "بلِّغوا هذا الأحمق أن هذا القول يؤول إلى الكفران، ويتضمن استقصار القدرة إذ هي مناط الإمكان، ولا يُنكر قدرة الله على أحوال الأموات وإراءتهم في هذه الدنيا للبشر إلا من أشرك بالله وأنكر القدرة على الإعادة وكفر، فقلت:

إن السَّخاوي فشَر ... وقال هجرا وكَفر

أراد أن ينكر ما ... صرنا إليه فكَفَر"(٦٨). إ.هـ.

فهل يُعقل بإمام مثل السَّخاوي أن يعتقد مثل ذلك، أو أنه غير ممكن بالنسبة لقدرة الله تعالى؟!. ولا أدري كيف يُحمَل تكفير السيوطي هذا سوى أن يكون قَصَد به كُفر النعمة، أو أنه علَّقه على قصد السَّخاوي في قوله؟ على كلٍّ الأمر خطير!.. ورحم الله الجميع.

٣ - اختلاف ميولهما العلمية:

لعلَّ اختلاف طبائع كلٍّ منهما وميوله الشخصية ومنهجه في حياته؛ من الأسباب المُهمة في ديمومة النزاع بين السيوطي والسَّخاوي حتى فصل بينهما الموت، بل واستمراره بين تلاميذهما حتى بعد وفاتهما، مع اتفاقهما في الميل للجدال والمفاخرة ولو على حساب الآخرين، وهي ميزة عامة لأهل ذلك العصر، إضافة إلى نوع من الغرور كان فيهما بحيث لا يقبل أحدهما التنازل للآخر.

كانت ميول السَّخاوي حديثية تاريخية ولهذا أكثر من الشيوخ والرواية وأفنى عمره فيها، بينما كانت ميول السيوطي لغوية تفسيرية مع مشاركته في العلوم الأخرى، وقد قلَّل من شيوخ الرواية في حين أكثر من المطالعة والجَمع والتأليف، وقال عن نفسه في "حسن المحاضرة": "ولم أُكثر من سماع الرواية لانشغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية" وقال مبرِّرا ذلك؛ بأنه حُبِّب إليه طلبُ الحديث بعدما تصدَّر للتدريس، ولذلك استنكف عن أخذ الرواية لأن شيوخها عوام وسوقة ونسوة...!(٦٩).

مع أن هذا قد يكون أمراً طبيعيا لاختلاف طبيعة كلٍّ من العلوم التي برع فيها كلٌّ منهما، إضافة إلى اختلاف منهجيهما في الطلب وميولهما الشخصية، فإننا وجدنا كلاً منهما يتهم الآخر ويُعيِّره، فقد اتَّهم السيوطيُ السَّخاوي بأن مدار علمه على العجائز، وفن الرواية وحده لا يكفي دون كثرة المطالعة والغوص في الكُتب، بينما وبَّخ السَّخاويُ تلميذه السيوطي في أكثر من مناسبة لعدم اهتمامه في الأخذ عن الشيوخ وأن المطالعة بحد ذاتها وإن كانت مفيدة فإنها لا تكفي، وقد وبَّخه بشدة وبخاصّة عند قوله عن نفسه: "... ومن دونها عِلم القراءات ولم آخذها عن شيخ" وتساءَل السخاويُ كيف يكون ذلك وهي من العلوم العَملية التي لابد أن تُستقى من أفواه القراء؟ وقد أجاب السيوطيُ عن ذلك بقوله: بأنها فن إسناد وأنه لم يُقرئها أحداً بل دَرَسها لنفسه؟(٧٠) إضافة إلى غير ذلك من مراشقات لا طائل من ذِكرها.

على كل حال فقد كان للمنهج الذي خطَّه كل منهما في حياته أثر واضح في تعميق هوة الخلاف بينهما، إضافة إلى ولَه السيوطي بالخلفاء العباسيين وابتعاده عن السلاطين والأمراء، بحيث يحرص على رَدِّ صِلاتهم ومخالفتهم، بعكس السَّخاوي الذي كانت له صِلاة طيبة بالخلفاء والأمراء على حدٍّ سواء حتى تتلمذ بعضهم عليه وساعده في نيل بعض الوظائف، وقد تبنَّى أكثر العلماء هذا المنهج في التعامل مع السلاطين والأمراء حِرصا على المصلحة العُليا وإقامة واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحِكمة والموعظة الحسنة، وفي ظني أن قُرب الإمام السخاوي من أُولي الأمر هو من هذا القبيل، وليس فيه أي مدخل للطعن أو اللمز كما يحاول البعض إظهاره، وإلا فكبار الأئمة في ذلك العصر قد تقلَّد مناصب عُليا؛ كالإمام ابن حجر مثلاً؛ وغيره.

٤ - تتلمُذ السَّخاوي على ابن حجر:

لعلَّ منزلة الإمام ابن حجر العِلمية جعلت كثيرا من المتأخرين يحرصون على رؤيته وأخذ الإجازة عنه وقراءة كتبه، ولأسباب لا تدخل ضمن طاقة البشر قدَّر الله للسخاوي أن يُلازم ابن حجر لفترة طويلة، وأكثر من التفاخر لذلك على أقرانه ومعاصريه، وادعى أنه وارث علم شيخه في الحديث وعلومه بعامّة وفي نقد الرجال والجرح والتعديل بخاصّة، في حين أن أقرانه ومنافسيه لا يرون جدارته لهذه المنزلة وأن هناك من هو أولى منه بذلك.

ومع حرص المتأخرين على الاستجازة من ابن حجر على اعتبار أنه الوعاء الحاوي لعلوم شيخه الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي(٧١)، ازدادت المنافسة بين السَّخاوي وبعض معاصريه سيما مع من كان معه حزازات سابقة، وإذا عُلم مدى حِرص السيوطي على نيل هذه المنزلة بحيث إنه شرب ماء زمزم ليصل إلى رتبه ابن حجر في الحديث، ومدى تفاخر السَّخاوي بشيخه ابن حجر، ظهر سبب مُهم من أسباب ديمومة النزاع واشتداده بين الرجلين، يقول السيوطي: "ولما حججتُ شربتُ ماء زمزم لأمور منها؛ أن أصل في الفقه إلى رُتبة الشيخ سراج الدين البُلقيني وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر" وقد عدَّ السيوطيُ ابنَ حجر من شيوخه في أكثر من مناسبة، وقال: ولا شك أن لي منه إجازة، فإن والدي كان يحضر مجالسه كثيراً، وقد أخبرني مَن أثق به أنه كان يُجيز لمن حضر مجلسه وأولادهم، وقال: ولا أستبعدُ أن تكون لي منه إجازة خاصة لكثرة تردد والدي عليه، وذكر أنه إن فاته التتلمذ على ابن حجر إلا أنه قد استفاد كثيرا من كُتبه، وتساءل؛ ألـه منه إجازة عامة أم إجازة خاصة؟(٧٢). قلتُ: وكل هذا لا يُعتبر تتلمذاً بالمعنى المُتعارَف عليه.

٥ - مَيل السَّخاوي للمُفاخرة وحبه في مديح نفسه:

لعلَّ من الأسباب المهمة التي أدت إلى تمرد السيوطي على السَّخاوي إن -صح التعبير- حِرص الأخير على إطراء الآخرين له بشكل يُثير الاستغراب، ففي كثير من التراجم التي سطَّرها السَّخاوي في "الضوء اللامع" وغيره، بدا حريصاً على إبداء هذا الجانب مع ميله إلى المفاخرة وإبراز نفسه في كثير من الأحيان، بل ألَّف السَّخاوي في هذا مؤلَّفا جَمع فيه ما صدر عن شيوخه وأقرانه من مديح وتقريظ لمصنفاته، مع الإشارة إلى أن أكثر معاصريه؛ حتى السيوطي نفسه؛ قد قاموا بجمع مثل ذلك. وهذا مما دفع بعض النقاد إلى اتهام السَّخاوي بالتعالي والمفاخرة أو المشاكسة... وهذا في ظني أنه من الأسباب المهمة التي جعلت بعض أقران السَّخاوي وبعض تلامذته يتغيرون عليه في آخر الأمر؛ بعد الإقبال الواضح عليه ومديحه في البداية.

لقد بدا واضحاً في بعض التراجم حِرص السَّخاوي على إبراز نفسه ولو على حساب أقرب الناس له من بعض شيوخه وتلامذته وأقرانه"(٧٣) والله أعلم.

٦ - كثرة ادعاءات السيوطي:

ربما لكثرة منافسيه وكثرة السهام الموجهة إليه، أكثر السيوطي من مديح نفسه في مناسبات كثيرة، وألَّف في ذلك عدة مؤلَّفات، وأكثر من بيان قيمة كتبه العلميـة والعلوم التي حوتها ولو كان ذلك على حساب شيوخه، بل إن تقسيمه لكتبه وبيان مراتبها وأهميتها وما حوته من علوم ومعارف، حيث قسَّمها بناءً على ذلك إلى سبعة أقسام، الأمر الذي يدلل دلالة واضحة على شدة اعتداده بنفسه(٧٤).

مع أن السَّخاوي قد أكثر من المفاخرة في ترجمته لنفسه وألَّف مُعجما لشيوخه وجمع من مدحه وقرَّض تصانيفه في مؤلَّف، لكن لم يصل به الأمر إلى ما وصل إليه السيوطي.

يقول السيوطي: "ورُزقت التبحر في سبعة علوم؛ التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه، والنُّقول التي اطلعت عليها فيها

لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن هو دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك... ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ... وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله..."[٧٥].

لقد هوّل السيوطي في مقدمات بعض كُتبه بشكل يبعث على الدهشة من شدة مباهاته، كما فعل في مقدمة كتابه "الاقتراح في علم أصول النحو" فذَكَر أنه كتاب لم تَسمح قريحة بمثله ولم ينسج ناسج على منواله وأن عِلم أصول النحو لم يسبقه أحد إلى ترتيبه؛ فقال: "وقد اخترعتُ علم أصول اللغة ولم أُسبق إليه وهو على نمط عِلم الحديث وعِلم أصول الفقه، فسارت مصنَّفاتي وعلومي مسير الشمس في سائر الأقطار إلى الشام والروم... وامتدت إلى البحر المحيط"، ويتساءل محقق الكتاب: كيف جاز للسيوطي أن يستسيغ هذه الإدعاءات؟ أكان يطمئن إلى تصديق أقرانه له؟ مع أن كتابه قد تضمن كتابي الأنباري "لُمع الأدلة" "والإغراب في جدل الإعراب" و"الخصائص" لابن جنِّي[٧٦]... ويقرر كثير من المحققين أن كثيراً من كُتب السيوطي قد تُعد تاريخية القيمة إذا اكتُشفت الأصول التي اعتَمد عليها وجَمع منها كُتبه، لأن الأصل قد يُغني عن الفرع.

ويقول السيوطي في موضع آخر: "وليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها أعلم بالحديث والعربية منِّي، إلا أن يكون الخضر أو القطب أو ولياً لله تعالى"![٧٧] ولعلَّ هذا مما حدا بمنافسيه أن يتهموه بالغرور والادعاء.

بل إنه في مقدمة رسالته "الشماريخ في عِلم التاريخ" مثلاً؛ يقول: "وقفتُ لبعض شيوخنا على كتاب في عِلم التاريخ (ويقصد به السخاوي في كتابه "الإعلان في التوبيخ لمن ذم أهل التاريخ") فلم أرَ فيه قليلاً ولا كثيراً ولا جليلاً يُستفاد ولا حقيراً، فوضعتُ في هذا الكتاب من فوائده ما تقرُّ به الأعين وتتجلَّى به الألسن، وسميته... ورتبته على أبواب..." مع أن الكتاب مطبوع، ولم يتجاوز عدد صفحاته الأربعة عشر في إحدى طبعاته! جلُّه مباحث لغوية لا علاقة لها بالتاريخ[٧٨].

أما ما ذَكره الكتاني وغيره ممن تَرجم للسيوطي[٧٩] أنه كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه رجالاً وغريباً ومتنا وسنداً واستنباطا للأحكام منها، فهذا إن صحَّ في تقديري فلا شك أنه بعد وفاة السَّخاوي، وكذلك ما نُقل عن السيوطي أنه كان يحفظ مائتي ألف حديث، وفي رواية أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف، وقال: ولو وجدتُ أكثر لحفظته، ولعله لا يوجد على ظهر الأرض أكثر من ذلك؟ ولا شك أن في هذا مبالغة لا تخفى، إذ أن السيوطي نفسه نقل مقدار حفظ السلف؛ فبعضهم كان يحفظ ألف ألف حديث، وبعضهم يحفظ سبعمائة ألف حديث... ولذلك كاد يُجمع النقاد والمهتمين بإحياء كُتب التراث أن السيوطي كان كثير الاعتداد بنفسه[٨٠].

٧- ادعاء السيوطي تجديد الدين للمائة التاسعة وأهليته للاجتهاد المُطلق:

إن كان السَّخاوي قد لمَّح إلى أنه وريث شيخه ابن حجر في "الجرح والتعديل"، وقد أشار إلى ذلك في أكثر من مناسبة؛ منها ما أورده في نهاية رسالته "المتكلِّمون من الرجال" حيث قال: "وللمصنِّف بالفن كتب كثيرة مع كونه غير متوجه له بكليته..." وكذلك في كتابه "فتح المغيث" بعد أن عدَّد طائفة من النقاد؛ قال: "ثم تلميذه شيخنا وفاق في ذلك على جميع من أدركه، وطُوي البساط من بعده إلا لمن شاء الله ختم لنا بخير..."[٨١]، فإن السيوطي قد أكد بكل صراحة أنه مجدِّد القرن والمجتهد المطلق فيه.

والمسألتان في تقديري منفصلتان عن بعضهما تماماً، لكن لأنهما تلازمتا في عقلية السيوطي، وقد أدى اعتقاده أنه هو المجتهد المطلق إلى إعلانه التجديد على رأس المائة التاسعة؛ جعلتهما في فقرة واحدة، ويمكن ملاحظة تطور هذه الفكرة عند السيوطي من خلال كتاباته، وهو ما أشار إليه أيضاً الدكتور فيليب حتي في مقدمته على كتاب "نظم العقيان" فقال: "فهل من عجب إذا كثر أعداء السيوطي وحسَّاده من معاصريه...

ومهما يكن فإن فضله قائم في أنه حفظ لنا كتباً قيِّمة كان الدهر أفنى عليها لولا قلمه، ونشر العلوم الإسلامية وعمَّم معرفتها، فأهميته التاريخية أنه حفظ العلم للخلف وسهَّل سُبُل المعرفة للمتأخرين"(٨٢).

ففي كتابه "حُسن المحاضرة" وضع ترجمته مباشرة بعد ترجمة الإمام سراج الدين البُلقيني؛ الذي عدَّه مجدِّد المائة الثامنة، فقال وهو يعدِّد مَن بمصر مِن المجدِّدين، والشرط الذي يجب أن يتوفَّر في المجدِّد: "... ومن اللطائف أن شرط المبعوثين على رؤوس القرون مصريون؛ عمر بن عبد العزيز في الأولى، الشافعي في الثانية... وابن دقيق العيد في السابعة، والبُلقيني في الثامنة... وعسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر..."(٨٣) ويلمح في ذلك إلى نفسه.

ثم ألَّف رسالته "فيمن يبعث اللهُ لهذه الأمة على رأس كل مائة" ولم يتجاوز فيها حدَّ الرجاء، فقال: "إني ترجيت من نِعم الله وفضله كما ترجَّى الغزالي لنفسه(٨٤)، أني المبعوث على هذه المائة التاسعة لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم... وقد اخترعتُ علم أصول الفقه... وصارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار... ولا مشاركة لي في مجموع ما ذكرته"، ونَظَم أرجوزته المُسمَّاة "تحفة المُهتدين بأسماء المجدِّدين" وقال في آخرها:

وهــذه تاسعة المِئين قد أتت ... ولا يُخلَف ما الهادي وَعــد

وقد رجوت أني المجدِّد فيها ... ففضــل الله ليــس يُجحَــد

وفي رسالته "الكَشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف" حيث اشتد خوف الناس في ذلك العصر من قُرب يوم القيامة لكثرة ما ظهر من فتنٍ وكوارث، فألَّف السيوطي رسالته هذه؛ معتبراً أن معرفته بمجاوزة الأُمة الألف سنة هجرية دون قيام يوم القيامة كرامةً وكشفاً، وفي كتابه "التحدث بنعمة الله" قال: فنحن الآن في سنة: ٨٩٦هـ ولم يجئ المهدي ولا عيسى ولا أشراط ذلك، وقد ترجَّى العبد الفقير من فضل الله أن يُنعم عليه بكونه هو المجدِّد على رأس هذه المائة وما ذلك على الله بعزيز؛ بل السخاوي نفسه رجَّح أن يكون مجدِّد المائة التاسعة هو المهدي أو المسيح عليهما السلام، وذلك عَقِب سَرده المجدِّدين على رؤوس القرون، وللسيوطي رسالة بعنوان "ذِكر ما ورد أن الدنيا سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بُعث في أواخر الألف السادسة"! أوردها في كتابه "الحاوي"(٨٥).

قال السيوطي في ما تقدَّمت الإشارة إليه: "...فإن ثم من ينفخ أشداقه ويدَّعي مناظرتي ويُنكر عليَّ دَعوى الاجتهاد والتفرد بالعِلم على رأس هذه المائة، ويزعم أنه يعارضني ويستجيش عليَّ بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ونفختُ عليهم نفخة صاروا هبــاءً منثــورا"، وألَّف كتابه "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض" في بيان ضرورة الاجتهاد وفرضيته في كل عصر، والتنديد بمن يستعظم دعوى الاجتهاد(٨٦).

وفي كتابه "التحدُّث بنعمة الله" عَقَدَ أربعة فصول قــرَّر فيها صراحة أنه هو المجتهد المطلق على رأس المائة التاسعة، وأنه لا يوجد البتة أحد من معاصريــه وأقرانه مَن يدانيه هذه الرتبة؛ فجاء عنوان الفصل الثامن عشر: "ذِكر ما أنعَم الله به عليَّ من التبحر في العلوم وبلوغ مرتبة الاجتهاد" والفصل التاسع عشر: "ذِكــر المبعوثين على رأس كل مائة" وقال: "وأما الاجتهاد فقد بلغتُ ولله الحمد والمنَّة رتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي وفي العربية، ورتبة الاجتهاد في هذه الأمور الثلاثة كانت مجتمعة في الشيخ تقي الديــن السبكي، ولم تجتمع في أحد بعده إلا فيَّ"(٨٧)، وفي "المقامة الكلاجيِّة" عبَّر عن أهليته للاجتهاد المطلق بصراحة قاسية(٨٨).

ولعلَّ دعوى السيوطي هذه دفعته إلى إبراز نفسه على أنه العالم بكل فن وجعلته حريصاً على الكتابة في كل علم، وهذه من أهم الأسباب التي جعلت السيوطي كثير الخصومة مع أقرانه ومعاصريه، وبخاصّة أنه لم

يُسلِّم له أحد منهم بهذه المنزلة، على أنه في "فهرس الفهارس" نَقل طَرف من أقوال العلماء الذين يؤيدونه في قوله بأنه المجدِّد على رأس القرن العاشر؛ وذلك بالنظر إلى مؤلَّفاته القيِّمة، وما حوته من لطائف وفوائد وشوارد، قلت: ولكن المجدِّد لا ينصِّب نفسه بنفسه؛ بل يُقر له معاصروه أو غيرهم من العلماء بذلك، وهذه المسألة لا يُمكن البت فيها من خلال الجَمع والتأليف؛ لأنها في ظني مسألة اجتماعية إصلاحية في الأساس، إذ لا يمكن حصر التجديد في الجانب العِلمي بعيداً عن الجانب العَملي، إلا أن نُقرَّ بتعدد المجدِّدين فلكل مجال أو تخصص مجدِّده، وهو رأي السخاوي وبعض شيوخه في هذه المسألة وخالفهم فيه السيوطي وادعى الاجتهاد والتجديد لنفسه دون غيره(٨٩)، ولعلَّ هذا مما جعل السيوطي يخرج بفتاوى وأراء يخالف فيها أهل بلده؛ بل ويتشدَّد في النكير على من خالفه.

المبحث الثالث
خلافات عِلمية أجَجت هذا الاختلاف

كانــت الخلافات العلمِية المثارة بين السَّخاوي والسيوطي بخاصّة، وبيــن الأقران في ذلك العصر بعامّة، من الأسباب الأساسية في تأجيج الصراع وزيادة حدة المنافسة، سيما وقد انتشر التعصب للرأي واستشرت روح المفاخرة والادعاء بين كثير من العلماء، ومــن المسائل العلمية المهمة التي كانت مثار خلاف وأدت إلى هذا الاختلاف الشديد:

١- جواز رؤية النبي ﷺ يقظة:

فالسيوطي أجازها عقلاً وشرعاً، بينما منع السَّخاوي التصريح بها أو ادعاءها وذلك سداً للذرائع وخشيــة الفتنــة والوهم، سيما وقد تطرأ على الإنسان حالات متعددة في يقظته، وإن كان قد أجاز وقوعها عقلاً(٩٠)، وهي مسألة سبق الحديث عنها.

٢- جواز خلو العصر من مجتهد:

أعلن الإمام السيوطي في أكثر من مناسبة أنه لا يجوز شرعاً خُلو عصرٍ من مجتهد، وقرَّر أنه من فروض الكفايات ويأثم العلماء جميعاً إن لم ينبغ منهم مجتهد وقد تحدَّث عن ذلك في كتابه "الرد على من أخلــد إلى الأرض" وحَمَل فيه قول العلماء السابقين بجواز خلو العصر من مجتهد على الجواز العقلي لا الشرعي، وهي مسألة تقدَّم الحديث عنها، ولكن السيوطي في نهاية ترجمته للحافظ ابن حجر، قال: وقد غُلق بعده الباب وخُتم به هذا الشأن! فكيف يكون ذلك وهو الداعي لفتح باب الاجتهاد المطلق؟ أم إنّه أراد أن يسدَّ الطريق على غيره؟(٩١).

وقــد خالفه بذلك جمهور أهل عصره الذين كان من بينهم السَّخاوي الذي لم يغلق باب الاجتهاد لكنه قال بجواز خلو العصر من مجتهد شرعاً وعقلاً، ولعلَّ رأي الإمام السيوطي رحمه الله فيه نوع من المبالغة؛ إذ إنّ الحاجة إلى المجتهد من عدمها من الأمور النسبية التي مبناها أساساً على الحاجة، وتختلف هذه ولا شك باختلاف الأعصار والأمصار؛ بل قد يقوم جماعة من العلماء المتواضعين في علمهم المتشاورين البعيدين عن التعصب يقومون مقام المجتهد المطلق، والله أعلم.

٣- جواز "الجرح والتعديل":

من المعلوم أن "الجرح والتعديل" من أهم القضايا التي يبني عليها التصحيح والتضعيف، وهي قضيــة مثارة من أيام ابن الصلاح رحمه الله؛ حيث قام بسد باب التصحيح والتضعيف لأسباب ليس هنا مجال بحثها(٩٢)، وقد خالفه بذلك جمهور المحدِّثين من طبقته فمن بعدهم حتى العصور المتأخرة.

وفي العصور المتأخرة ثارت قضية جواز "الجرح والتعديل" وانقسم الناس فيه بين مُجيز وبين قائل بحرمته، وقد بنى القائلون بحرمته دعواهم على أن كُتب الحديث قــد دُونت وأن الاعتماد صار عليها لا على الرجال والإسناد، وكذلك فإنه لا فائدة مرجوة من فتح هــذا الباب، وكان السيوطي من القائلين بهذا؛ بل وعدَّه من الغيبة، وقال السَّخاوي بضرورته وأعطاه الأحكــام الشرعية المعروفة للغيبة، وقرَّر أن ذلك لا يختص بعصر

دون عصر، بل هو عام لضرورة حفظ السنة حتى وإن دُونت للتأكد من نسبة هذه الدواوين إلى أصحابها وضمان عدم تحريفها، لكن السؤال؛ كيف يُغلق السيوطي باب "الجرح والتعديل" ويدِّعي لنفسه الاجتهاد المطلق؟ مع أن فوائد "الجرح والتعديل" لا تنحصر فقط بالحديث؛ بل تتعداه إلى العلوم الأخرى، فالمؤرِّخ لا بد أن يذكر السلبيات والإيجابيات بوضوح، حتى يستفيد اللاحق منها ليحصل الاعتبار، وهذا من أهم فوائد التاريخ العامة المتعلقة بالاعتبار الناتج عن السِّيَر الحقيقية للناس(٩٣).

٤- مسألة جواز تعدد المجدِّدين في المائة الواحدة:

إن كان السيوطي قد ادَّعى الاجتهاد المطلق والتجديد للمائة التاسعة، فإنه أغلق الباب على غيره من أهل عصره، باعتبار عدم وجود صاحب الأهلية للاجتهاد المطلق غيره، ولعدم إمكانية تعدد المجدِّدين، وهذا واضح من خلال استقراء أقوال السيوطي في هذه المسألة، أما السَّخاوي فقد ذهب إلى القول بتعدد المجدِّدين بتعدد الأماكن؛ فقال: وقد ادَّعى كل قوم في إمامهم، والظاهر أن يعم حَمَلَة العِلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء؛ مفسِّرين ومحدِّثين وفقهاء(٩٤).

٥- الخلاف حول آراء ابن عربي وشيعته وقصائد ابن الفارض:

ثارت ضجة كبرى حول ابن عربي محي الدين محمد بن علي(٩٥)، وابن الفارض عمر بن علي(٩٦) وبعض قصائده، وكذلك الموقف الذي يجب أن يُتخذ من شيعتهم وأنصارهم، وقد عُقدت لذلك مباهلات ومناظرات عديدة ما كانت تؤدي إلا إلى زيادة الشقاق والاختلاف؛ لعلَّ أشهرها مباهلة الإمام ابن حجر مع أنصار ابن عربي.

وقد انقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين متضادين وفرقة وسط، فقامت فرقة بتأويل كلامهما؛ بل وأسرفت في ذلك وادعت أنهم جميعاً من أولياء الله الصالحين، وعلى رأس هؤلاء السيوطي الذي دافع عنهم دفاعاً عنيفاً، وألَّف في ذلك "قمع المعارض في نصرة ابن الفارض" و"تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي" وإن كان قد صرَّح بحرمة النظر في كلام ابن عربي على العوام ومن ليس من أهل العلم سداً للذرائع وخشية وقوعهم في الفتنة!.

وتشدَّدت طائفة على النقيض من ذلك وقالت بإنكار قراءة التائية؛ وهي إحدى قصائد ابن الفارض، وتكفير صاحبها، فضلاً عن تكفير أهل الشطح من أهل التصوف كالحلاج الحسين بن منصور(٩٧) وابن عربي وشيعتهما، وعلى رأس هؤلاء الإمام برهان الدين البقاعي؛ حيث كان ميَّالاً إلى التشدد في كثيرٍ من المسائل، ومن ذلك تشديده النكير على المؤذنين لتلاوتهم أشياء قبل وبعد الأذان لم تَرِد بها سنة، وكذلك اتهامه الإمام أبي حامد الغزالي أنه يَجرى في منهجه مجرى المعتزلة؛ سيما في قوله "وليس في الإمكان أبدع مما كان" وألَّف في ذلك "تهديم الأركان" وثار عليه أهل دمشق وكادوا يقتلونه، وقد وافقه على هذا الإمام الشمس الجوجري(٩٨)، وقد تقدم الحديث عن طرف من هذه المسألة باستفاضة.

وكان السَّخاوي وبعض شيوخه على رأس الفرقة الوسط، فقال: أما الكُفر، فمن ثبت إسلامه بشهادة أئمة المسلمين لا يخرج عنه إلا بيقين وهو ما لا سبيل إليه هنا... وأما الكلام فلا يتوقف في إنكاره إلا معاند بهذيانه وفُشاره، والخوض الطويل بالتأويل فيه مزيد تكلف وشديد تعسف... وإن إطلاق الجواب بأنه ليس على قائله إثم فيه تجاسر واجتراء ومبالغة في المخاصمة والمِراء، ولو لم يكن إلا ما فيه من إساءة الأدب، إن ذلك لمن أعجب العجب(٩٩).

٦- مسألة نجاة والدي المصطفى عليه الصلاة والسلام:

والخلاف حول هذه المسألة وارد وقديم لكن المقام لا يتسع لإيراد أدلة الفُرقاء وترجيح أحد الأقوال؛ ومجمل القول فيها أن طائفة من العلماء قالت بنجاة والدي النبي ﷺ، وكذلك أهل الفترة، ومستندهم في ذلك الدليل العاطفي وبعض النصوص الضعيفة، وأخذت طائفة بالدليل العِلمي لظواهر النصوص الصحيحة فلم ترجح

جانب النجاة، واختارت طائفة ثالثة التوقف في هذه المسألـة وعدم الخوض فيها تأدباً مع النبي ﷺ، لأن المسألة لا ينبني عليها كبير فائدة، وهذا ما اختـاره السَّخاوي[١٠٠].

لكن الإمام السيوطي الذي اختار القول بنجاتهما ونجاة أهل الفترة لم يعجبه ذلك؛ حَمَل على السَّخاوي حملـة شعواء، وألَّف في ذلك ستة رسائل أشهرهـا: "المقامة السُّندسية" في تنزيه والدي النبي ﷺ، و"التعظيم والمِنَّة في أن والدي المصطفى في الجنة" و"مسالك الحُنفا في والدي المصطفى" و"الدرج المنيفة في الآباء الشريفة" و"سُبل النجاة" و"نشر العَلَمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين" وقد تجاوز الحدَّ في مقامته "الدوران الفلكي على ابن الكَرَكي" حتى قال:... ومن أنكر ذلك أكـاد أقول بكفره واستغرق العمر في هجره؟[١٠١]، ومع أن الخلاف في هذه المسألة لا ينبني عليه كبير أثر؛ شأن الخلافات الأخرى، إلا أنها كانت من الأسباب المهمة في تأجيج الصراع بين صاحبينا.

٧- قضية تحريم المنطق:

واختار السيوطي تحريمه وألَّف في ذلك "الغيث المُغرق في تحريم المنطق"، وإن كان هذا رأي جمهور المحدِّثين في هذه المسألة، وهو رأي طائفة من علماء عصره وعلى رأسهم الحافظ السخاوي، إلا أن حـدة السيوطي وطريقته في طرح الفتاوى أثارت عليه حفيظة أهل عصره وجعلتهم يخالفونه في أكثر ما يختاره، وهي أول واقعة قام الناس عليه فيها[١٠٢].

٨- الخلاف حول تصحيح بعض الأحاديث وتضعيفها:

لاختلاف منهج كلٍّ من السيوطي والسَّخاوي في نقد الحديث، فالأول متساهل لغلبة الميول الصوفية عليه ولإكثاره من التأليف؛ فوقع منه التساهل في بعضها، أمـا السَّخاوي فقد تابع جمهور المحدِّثين في معظـم الأحاديث التي بيَّن حالها.

ومن هذه الآثار خَبر لبس الخرقة الصوفية وكون الإمـام الحسن البصري[١٠٣] لبسها من علي بن أبـي طالـب[١٠٤] ﷺ، والذي بدوره لبسها من النبي ﷺ، فالسَّخاوي يرى أنه خبر ضعيف؛ لأن المحدِّثين لـم يُثبتوا سماعاً للحسن البصري من علي بن أبي طالب ﷺ، بينما يرى السيوطي اتصال السند ومن ثمّ صحته، وألَّف في ذلك رسالته "إتحاف الفرقة برفـو الخرقة" أورد في نهايتها أحاديث بسنده عن الحسن عن علي؛ ليثبت سماع الحسن منه[١٠٥].

ولأن مدار سند طرق الصوفية كلها عن الحسن البصري عن علي ﷺ، عوّل الصوفية على تصحيح السيوطي له وتركوا قول جمهور المحدِّثيـن، وأدَّى استغراق السيوطي في التصوف أن يوثِّق بعض رجالاته ويعدَّهـم من "الحفاظ" وهم على جلالة قدرهم لا يمكن اعتبارهـم "حُفّاظاً" باصطلاح المحدِّثين؛ كما فعل مع كبير الصوفية الإمام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمي[١٠٦] والحَكيم الزاهد محمد بن علي الترمـذي الصوفي المؤذِّن[١٠٧] وغيرهما، فقد ترجم لهم السيوطي في "طبقات الحفَّاظ" مستدركاً ذلك على الإمـام شمس الديـن الذهبي[١٠٨] في "تذكرة الحفَّاظ" وأكثر الذيـن استدركهم على الذهبي هم من هذا القبيل.

٩- هذا بالإضافة إلى قضايا أخرى مهمة، منها:

روايــة الحديث عن رسول الله ﷺ عن طريق الكشف، أو عن طريق رؤيته يقظة أو مناماً، وقد شدَّد السَّخاوي النكير على من يقول بهذا، وكذلك القول بحياة الخضر عليه السلام أو رواية الحديث عنه، فلا يرى السَّخاوي بقاءه حياً فضلاً عن رواية الحديث عنه، في حين خالفه في ذلك كله المتصوفة وعلى رأسهم السيوطي، وألَّف في ذلك عدة رسائل منها: "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء" و"تنوير الحَلك في إمكان رؤية النبي والمَلك"[١٠٩].

لعلَّ هذه أهم القضايا الخلافية المثارة، لكن هناك مسائل أخرى خالف بها السيوطي جمهور علمـاء عصره، منها: إقراره بوجود "المُعرَّب" في القرآن الكريم في مواضع أحصاها في كتابه "المهذَّب فيما وقع في القرآن من المُعرَّب" ذَكر فيه كثيراً من الكلمات غير

العربية الموجودة في القرآن، مخالفاً في ذلك إمام مذهبه الإمامَ الشافعي رحمه الله، بل وألَّــف كتابه "المتوكِّلي؛ نسبة إلى الخليفة العباسي المتوكَّل؛ فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية"! هذا مع أن السيوطي لا يعرف ولو حرفاً واحدا عن أي لغة من هذه اللغات[١١٠]؟!.

ومن ذلك إفتاء السيوطي بحنث من حَلَف على ماضٍ ناسياً، ووقوع الحَلف بالطلاق على غلبة الظن، وألَّف فيها رسالته "القول المُضي في الحنث في المُضي"[١١١]، وأن الصلاة الوسطى هي الظهر لا العصر، وتحديد العدد لسؤال الميت في قبره بسبع مرات، وتحريم البروز بالبناء على شطوط الأنهار، وألَّف فيها "الجهر بمنــع البروز إلى النهر"[١١٢]، وتعزير من روى الحديــث الموضوع، ومسألة هَدم إحدى بيوت الفساد، وألَّف فيها "رَفْــع منار الدين وهَدم بناء المفسدين" ثم اختصرها برسالته "هَدم الحاني على الباني" تعريضا بشيخه شمس الدين الباني الذي خالفه في هذه المسألة[١١٣]، ومسألة وقوع الطلاق في النكاح الفاسد، ومسألة تفضيل أبي بكر ﷺ وأنــه هو "الأتقى" في قوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**﴾ [١٧: الليل][١١٤] وألَّف فيها "الحبل الوثيق في نُصرة الصدِّيق" ومسألة عدم جواز ضرب المثل بالأنبياء فيما لا يكون في العُرف كريما كرعي الغنم، وألَّف في ذلك "تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء"(١١٥).

إضافة إلى بعض المسائل اللغوية، كضبط كلمة "نحفد" في دعاء القنوت بالدال لا بالذال، وألَّف في ذلك "إتحاف الوفد بنبأ سورة الحَفد"، وضبط لفظة "خَصيصى" في "ختم الشفا" للقاضي عياض بالقصر، بينما ضبطها السَّخاوي بالياء الساكنة بصيغة التثنية، وألَّف في ذلك: "القول المُجمَل في الرد على المهمَل" و"ألوية النصر في خصيصى بالقصر" إضافة إلى مسائل لغوية أخرى شنَّع فيها على السَّخاوي، ويبدو لي أن السخاوي اعتمد على أشياخه في ضبط مثل هذه الألفاظ، ككتاب "مُزيل الخفا عــن ألفاظ الشفا" لشيخه تقي الدين أحمد بن محمــد الشُّمُنِّي[١١٦]، بل تحدَّى السيوطي جميع أقرانه بأسئلة وَضَعها حول حروف المُعجَم؟.

إضافة إلى حوالي عشرين مسألة خالف بها الشيخ محمد بن عبد المنعم الجوجري، ومسائل أخرى ردَّ عليها في كُتبه ورسائله المختلفة؛ ومن ذلك "تذكرة أولي الألباب" و"الرسالة المستنصرية" ومقامة "الفتَّاش على القشــاش" و"الصارم الهندي في عنق ابن الكَرَكي" وغيرها[١١٧].

ومن هنا يظهر أن قناعة الإمام السيوطي بنفسه أنــه المجدِّد في عصره والمجتهد المطلق فيه، جعلته يحرص على ردَّ كل مخالف مهما كانت نوعية ذلك الخلاف، وجعلته يتميز بآراء يخالف فيها أهل مصره مما جعلهم يشدِّدون الحملة عليه.

الخاتمة

جانب من آثار هذا النزاع ونتائجه

وفي الختام لا بد من القول؛ أنه وعلى جميع الأحوال أن الخلاف حول هذه المسائل التي من هذا القبيل وغيرها؛ لا يَنبني عليه كبير أثر، لكن عندما انتشر التعصب وعمَّ التقليد وانعدم الابتكار، صارت هذه القضايا شُغل الناس الشاغل، إضافة إلى الحدَّة وقل إن شئت الغرور الذي كان سائدا بين المتخاصمين في تلك الحقبة، كان لهــا أبلغ أثر في إبراز هذه الخلافات، ولو تأنَّى كل عالم وتأكد من مقولة أخيه وأسبابها؛ بعيدا عن الوشاة ودعاة الفتنة من الغوغاء والعوام؛ لما تأزمت العلاقات بين هذه الثلة المباركة من العلماء إلى هذا الحد الذي كان يجب أن يتساموا عنه.

ولعلَّ كل ما سبق وغيره جعل كلا منهم يكيل التهم لخصمه، حتى كان بعض تلك التهم جزافاً لا دليل عليها دافعها الأساسي التحامل والخلفيات الكامنة له؛ فقــد اتَّهم السَّخاويُ السيوطي بالغرور والتعالي على مشايخه فضلاً عن أقرانه وإلقاء التهم جزافاً ضد كبار العلماء، ومن ذلك قوله في اعتذاره لشيخه برهان الدين إبراهيم بن علي المخزومي: "وربما قدَّم عليَّ في المجلس

من لا أرضى أباه خادماً لنعلي"! وقوله عن أحد القضاة أنه لم يكن طعنة في نعل ابن الصلاح؛ حتى إنه عُزِّر من بعض نواب الحنابلة[١١٨]، بل واتهمه بالترفع حتى على والدته، وأنه كان صاحب دعاوى كاذبة! وأنه ليس أهلا للمعروف فقد ساعده البرهان الكَرَكي في بعض الوظائف ثم تنكَّر عليه، وأنه لم يزاحم الفضلاء ولذلك كثر تحريفه وتصحيفه، كما اتَّهمه بالبلادة لعدم معرفته الحساب؟ كما اتَّهمه السخاويُ بانتحال بعض كُتبه ونسبتها لنفسه، إضافة إلى سرقته من الخزانة المحمودية[١١٩] بعض الكُتب القديمة والتهويل في مقدماتها ونسبتها لنفسه[١٢٠]... الخ. إضافة إلى تُهم أخرى اتَّهمه بها الكركيُ وغيره من أقرانه، يتعجب القارئ لها! وكيف كان ذلك يصدر منهم؟!.

وقد بادلهم السيوطيُ هذه التُّهم بتُهم أخرى لا تقل تهافتا عن سابقتها، منها اتهامه السَّخاويَ بسرقة مسودات كُتب ابن حجر ونسبتها لنفسه، وأنه لا يُحسن العربية؛ وقد أجاب العلامة ابن مبارك عن هذه التُّهمة فقال: وكثير من أئمة الحديث وحفاظه وُصفوا باللحن والمراد أن ذلك بالنسبة للخليل وسيبويه ونحوهما[١٢١]، كما اتهمه بأنه لا يُحسِن غير الفن الحديثي شيئا، وأن مدار علمه على العجائز والعوام.

كما اتَّهم السيوطيُ القسطلاني والنُّعماني وغيرهما بالسرقة من كُتبه، وبادل تُهم الكركي له بكونه فقيراً ويتيماً! بأن الأخير كان مُغنياً ومؤذِّناً ويعمل الموالد...؟.

وإضافة إلى ما تقدَّم من نتائج وآثار يمكن إجمال نتائج هذه الدراسة بما يلي:

١) على الرغم من أن المنافسة بين الأقران باتت كالظاهرة المتكررة في تاريخنا الإسلامي، إلا أني حاولت دراستها من خلال العصور المتأخرة كنموذج متكرر لذلك، وقد كانت نتائج هذا النزاع أو هذه المنافسة الحادة في معظمها سلبية؛ ومن ذلك بعض ما تقدَّم من تُهم متبادلة، إضافة إلى التعصب المذهبي والفكري؛ الذي تمثَّل بكثرة التنابذ والمهاترات واحتدام المنافسة عند أدنى خلاف، ولذلك فاللائق بالباحثين والعلماء مراعاة الإنصاف واحترام الجميع عند دراسة مثل هذه القضايا، فكل ما صَدر عن الأقران في بعضهم البعض لا يُعتبر، ولا يُنزلهم ذلك عن قدرهم ومنزلتهم، ويبقى لكلٍّ منهم فضله وجلالة قدره واحترامه.

٢) وكان من نتائج هذه المنافسة الحادة على الجانب العلمي؛ كثرة المؤلَّفات كثرة مذهلة، إلا أنها في أكثرها مكررة مُعادة، قليلة الفائدة بالنظر إلى مادتها العلمية ومضمونها وصغر حجمها، الدافع إلى تأليفها المنافسة وإثبات الذات، فضلاً عن أنها كادت تنحصر بالشروح والتحاشي، وقد تُعد هذه النتيجة إيجابية في بعض جوانبها بما أثرت به المكتبة الإسلامية بمؤلَّفات ودراسات مختلفة، إلا أن هذه المنافسة شتَّت الجهد وشغلت العلماء عن المسائل المهمة، والتنسيق العلمي فيما بينهم ليخرج إنتاجاً علمياً متكاملاً، فشُغلوا عن مثل ذلك بأمور جانبية صغيرة.

٣) على أن ذلك النزاع الذي كان دائراً في تلك الفترة كانت له أسبابه العلمية والشخصية الخاصة؛ فلا يمكن تناول هذه القضية بمعزل عن هذه الأسباب ونتائجها، مع الإشارة إلى أن التنافس بين العلماء أمر فطري طبيعي، له ضوابطه وحدوده الشرعية والأخلاقية، وهو أمر مهم لاستمرار الحياة العلمية وتحفيز العقول للابتكار والإنتاج، لكن لأسباب تقدَّمت الإشارة إلى بعضها؛ خرج هذا التنافس عن الحدِّ المحمود وتحوَّل إلى شجار وخصومة.

٤) ومن الاتهامات المُتبادَلة في تلك الفترة؛ السرقات العلمية، فكان كل طرف يتَّهم الآخر بالاستمداد من كُتبه من دون أن يَنسب إليها، وهي مسألة استشرت بين العلماء في القديم والحديث، ويبدو لي أن ظاهرة الإسراف في التأليف في ذلك العصر، مع حدَّة المنافسة والنزاع بين العلماء؛ اضطر

بعضهم أن ينقل عن بعض من غير عزوٍ أو إشارة، أو قد يكون سبب ذلك أن المصادر التي كانوا ينقلون عنها جميعاً واحدة؛ فيظن بعضهم أن غيره نقل عنه، سيما وأن التأليف في ذلك العصر لم يكن فيه كبير تجديد أو ابتكار، واقتصر في أغلب أشكاله على ما كَتبه الأقدمون، بيد أن هناك تبريرات علِمية أخرى منها: وحدة العقل البَشري وتشابه الأفكار عند العلماء، فإذا اتحدت المقدِّمات وكانت صحيحة؛ كانت النتائج العِلمية متشابه وصحيحة بنفس الوقت، أو قد يكتبُ العالمُ من حِفظه أو من كتاب قرأه، ولا يستحضر وقت التدوين أو الإملاء مكان أو زمان ذلك، وتكون المعلومة مهمة؛ فيذكرها من غير عَزو، سيما وأن المؤلَّفات في ذلك العصر كانت تُملى إملاءً من حفظ مؤلِّفها في أغلب الأحيان، ثم إن المنهج العِلمي في الجَمع والتأليف لم يكن بالتميز والوضوح الذي هو عليه في أيامنا هذه؛ سيما فيما يتعلق بترتيب المعلومة، والتحقق منها وطريقة توثيق المصادر والمراجع، وتقسيم البحوث وتبويبها، وما إلى ذلك، والله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(١) اعتمدتُ لهذه الفقرة؛ السخاوي شمس الدين، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**. ومحمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، العهد المملوكي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ط٤، ج٧، ص١١-٩٦. السير وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٢٤م، ط١، ص٣٢ وما بعدها. محمد كُرد علي، **خطط الشام**، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٢٥م، ج١، ص١٨٥، ج٢، ص١٠٠ وما بعدها، محمد ماهر حمادة، **الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي**، ص١١ وما بعدها. عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج٣، ص٦٠٥ وما بعدها. علي باشا مبارك، **الخطط الجديدة لمصر القاهرة** المعروف ب "**خطط مبارك**"، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٠٥هـ، ط١.

(٢) محمد ماهر حمادة، **الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م، ط١ ص١١، ٥٠ وما بعدها، عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العِلم للملايين، ط١، ١٩٨٩م، ج٣، ص٦٠٥ وما بعدها. السخاوي، **وجيز الكلام**، تحقيق: بشار معروف وعصام الحرستاني وأحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥، ط١، حوادث سنة: ٨٤٢، ٨٥٧، ٨٥٩، ٨٦٣، ٨٦٩، ٨٧٦هـ وغيرها. وانظر: مقدمة سمير الدروبي على كتاب "**شرح مقامات السيوطي**"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م، ط١، ص٢٣.

(٣) السيوطي، **حسن المحاضرة**، مطبعة دار الوطن، مصر، ١٢٩٩هـ. وابن إياس الحنفي، **بدائع الزهور**، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م. وانظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م؛ أخبار سنة: ٧٢١، ٧٤٤، ٧٠١، ٧١٥، ٧١٨، ٨٢٥هـ وغيرها.

(٤) محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي؛ العهد المملوكي**، ج٧، ص٧١.

(٥) مصطفى الشكعة، **جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤م، ط١، ص٤٥ وما بعدها. وانظر: شاكر عبد المنعم، **ابن حجر العسقلاني مصنّفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ط١، ج١، ص٣٦ وما بعدها.

(٦) عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج٢، ص١٨٩ وما بعدها. كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي والمخطوطات العربية**، ترجمة: السيد يعقوب، القاهرة، ط٢، ج٣، ص٦١٠ وما بعدها. وانظر: يُسري عبد الغني، **معجم المؤرخين المسلمين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ط١، ص٢٠١-٢٠٩. ومصطفى الشكعة، **جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي**، ص١٧-٨٣. وبديع اللحام، **الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده**

في الحديث وعلومه، دار قتيبة، دمشق، ١٩٩٤م، ط١، ص١٨-٥٨.

(٧) مصطفى الشكعة، **جلال الدين السيوطي عصره وحياته...**، مرجع سابق، ص٨٤ وما بعدها.

(٨) بفتح السين والخاء، نسبة إلى بلدة سَخا التي تقع غربي الفسطاط قرب القاهرة، وكانت النسبة إليها عند المتقدمين "السخوي" عُرفت قديما بسخو، انظر: **خطط مبارك**، ج١٢، ص١٢-١٣. و**الضوء اللامع**، ج١١، ص٢٠٦.

(٩) من مصادر ترجمته؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، دار الحياة، بيروت، مصورة عن الطبعة التي عُني بنشرها حسام الدين القُدسي، ج٨، ص٢-٣٢. نجم الدين الغَزِّي، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، حققه: جبرائيل جبور، كلية العلوم والآداب؛ الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤٩م، ج١، ص٣٥. عبد القاهر العَيدروسي، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، صححه: محمد رشيد أفندي، المكتبة العربية ومطبعة الفرات، بغداد، ١٩٣٤م، ص١٦-٢١. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص١٥-١٧. الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، مكتبة الإمام ابن تيمية، القاهرة، ج٢، ص١٨٤-١٨٧. ابن مُبارك، **خطط مبارك**، ج١٢، ص١٥-١٨. يوسف سركيس، **معجم المطبوعات العربية والمُعرَّبة**، مطبعة سركيس، مصر، ١٩٢٨م، ج١، ص١٠١٢. عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج٣، ص٨٩٠-٨٩٣. ابن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الأمور**، ج٣، ص٣٦١. السيوطي، **نظم العقيان في أعيان الزمان**، حرره: فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك/ المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٢٧م، ص١٥٢. ابن غازي، **فهرس ابن غازي**، واسمه: "**التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**" تحقيق: محمد الزاهي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٧٩م، ص١٤٨ وما بعدها. صدِّيق حسن القنوجي، **التاج المكلَّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، صححه: عبد الحكيم شرف الدين، المطبعة الهندية العربية، ١٩٦٣م، ص٤٤٩، ترجمة رقم ٤٨٠. جُرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، مطبعة الهلال، ١٩٣٦م، ط٣، ج٣، ص١٦٩ وصفحات أخرى. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العِلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م، ط٢، ج٦، ص١٩٤. عمر رضا كحَّالة، **مُعجم المؤلِّفين**، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٠، ص١٥٠. كحَّالة، **مُعجم مُصنِّفي الكُتب العربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ص٥٠٨ وغيرها.

(١٠) ولد سنة: ٧٧٣هـ وتوفي سنة: ٨٥٢هـ، السخاوي، **وجيز الكلام**، ترجمة ١٤٢٤، ص٦٢٢. **الضوء اللامع**، ج٢، ص٣٦-٤٠. **الذيل على رفع الإصر**، تحقيق: جوده هلال ومحمد صبيح وعلي البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١٩٦٦م، ص٧٥-٨٩ وغيرها.

(١١) ولد سنة ٧٩١هـ، وتوفي سنة ٨٦٨هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٣، ص٣١٢-٣١٤. **وجيز الكلام**، ص٧٥٩، ترجمة رقم ١٧٤٦.

(١٢) ولد سنة ٧٧٥هـ، وتوفي سنة ٨٥٩هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٧، ص١٦٢-١٦٥. **وجيز الكلام**، ص٦٩٠ ترجمة رقم ١٥٨٤.

(١٣) ولد سنة ٧٨٧هـ، وتوفي سنة ٨٧١هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٩، ص٣٨١. **وجيز الكلام**، ص٧٨٤، ترجمة ١٨٠٣. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات**، باعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ج١، ص٢٧٠، ج٢، ص٨٧٦.

(١٤) ولد سنة ٧٦٢هـ، وتوفي سنة ٨٥٥هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١٠، ص١٣١-١٣٥. **وجيز الكلام**، ص٦٦١، ترجمة ١٥١٥.

(١٥) ولد سنة ٧٩١هـ، وتوفي سنة ٨٦٤هـ، **الضوء اللامع**، ج٧، ص٣٩-٤١. **وجيز الكلام**، ص٧٢٩، ترجمة ١٦٧٥.

(١٦) ولد سنة ٨٦٦، وتوفي سنة ٩٤٤هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٤، ص١٠٤. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج١، ص٤١٣. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص٢٥٥. العبدروسي، **النور السافر**، ص٢١٢.

(١٧) ولد سنة ٨٥١هـ، وتوفي سنة ٩٢٣هـ، **الضوء اللامع**،

ج٢، ص١٠٣، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص٩٦٧. **شذرات الذهب**، ج٨، ص١٢١. وانظر: سمير الدروبي، **مقامات السيوطي**، ج٢، ص٨١٨.

(١٨) ولد سنة ٨٦٣هـ، قام برواية بعض كُتب السخاوي، وكَتب نُسخة من "فتح المُغيث" في حياة مؤلِّفه سنة ٨٨٦هـ بمكة، **الضوء اللامع**، ج٨، ص٧٤. السخاوي شمس الدين، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، دار الكُتب العلمِية، بيروت، ١٩٨٣م، ج٣، ص٤٠٢-٤٠٣.

(١٩) ولد سنة ٨٤٨هـ، وتوفي سنة ٩٣٦هـ، إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين**، ج٢، ص٧٩٥. جُرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج٣، ص١٦٩. حاجي خليفة، **كشف الظنون**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص١٠٨٩. **شذرات الذهب**، ج٨، ص٢١٩.

(٢٠) ولد سنة ٨٤٨هـ، وتوفي سنة ٩٣٠هـ، **الضوء اللامع**، ج١١، ص٧٥. **شذرات الذهب**، ج٨، ص١٦٨. وانظر: آرثرج آربري، **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي**، دبلن، إيرلندا، ترجمة: محمود شاكر سعيد، إحسان صدقي العمد، مؤسسة آل البيت، الأردن، ١٩٩٢م، ج١، ص٣٩٣، مجموع رقم ٤٦٦٤.

(٢١) ولد سنة ٨٣٦هـ، وتوفي بعد سنة ٩٠٢هـ، **الضوء اللامع**، ج١١، ص٣٥، ج٧، ص٢١٥، ج١٠، ص٦٦. محمد يوسف، نسخة فريدة من "الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة" للسخاوي، **مجلة مَجمع اللغة العربية**، بدمشق، مج٤٣، ١٩٦٨م، ج١، ص٩١٣ وما بعدها.

(٢٢) ولد سنة ٨٥٠هـ، وتوفي سنة ٩٢٢هـ، **الضوء اللامع**، ج٤، ص٢٢٤. **فهرس الفهارس**، ص٢٩٦، ٦٨٤، رقم ١١٥. **شذرات الذهب**، ج٨، ص١٠٠.

(٢٣) لمعرفة مؤلفات السخاوي؛ فإضافة إلى الكُتب التي ترجمت له والتي تقدمت الإشارة إلى بعضها، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٨، ص١٥-١٩. الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج١، ص٢٥٣، ٢٩٥؛ ج٢، ص٩٨٩-٩٩٣، ٦٦٠. إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين**، ج٢، ص٢١٩-٢٢١. ابن غازي، **التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**، المعروف بفهرس ابن غازي، ص١٦٨-١٦٩. مشهور حسن وأحمد الشقيرات، **مؤلَّفات السخاوي**، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٨م، ط١، وغيرها.

(٢٤) انظر: **الضوء اللامع**، ج٩، ص٢٩٢ حيث نرى بعضهم يتشدد في تبديع وتكفير الإمام ابن تيمية رحمه الله، بل وتكفير من لم يكفره! بينما نهض بعض العلماء للرد عليهم وإبطال تلك الدعوى.

(٢٥) ولد سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٤، ص٦٥-٧٠. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص٥١-٥٥. العبدروسي، **النور السافر**، ص٤٥. الشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٣٢٨-٣٣٥. البغدادي، **هدية العارفين**، ج١، ص٥٣٤ وما بعدها. كما ترجم السيوطيُ لنفسه في كتابيه: **التحدث بنعمة الله**، تحقيق: إليزابث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، و**حُسن المحاضرة**، ج١، ص١٩٠.

(٢٦) ولد سنة ٨٠٩هـ، وتوفي سنة ٨٨٥هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١، ص١٠١-١١١. **وجيز الكلام**، ص٩٠٩، ترجمة رقم ٢٠٦٠. ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٦٩. حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج١، ص١٤٠ وغيرها.

(٢٧) ولد سنة ٨١٢هـ، وتوفي سنة ٨٨٥هـ، **الضوء اللامع**، ج٦، ص١٢٦-١٣١. **وجيز الكلام**، ص ٩٠٨. **فهرس الفهارس**، ج٢، ص٦٦٩.

(٢٨) ولد سنة ٨٥١هـ، وتوفي سنة ٩٢٦هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١، ص٢٩٠. العبدروسي، **النور السافر**، ص١٢٦.

(٢٩) العبدروسي، **النور السافر**، ص١٢٦. وانظر: **مؤلفات السخاوي**، ص٢١.

(٣٠) حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج٢، ص١٨٩٧. العبدروسي، **النور السافر**، ص١١٣-١١٥. وانظر: سمير الدروبي، **شرح مقامات السيوطي**، ج٢، ص٨١٨.

(٣١) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٢، ص١٠٣. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص١٢١، ٥٠. العبدروسي،

النور السافر، ص١١٤.

(٣٢) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات**، ج٢، ص٩٦٧.

(٣٣) انظر: **الضوء اللامع**، ج٨، ص٩٦؛ ج٩، ص٩٥-١٠٠؛ ج٩، ص٢٤٨-٢٥٢؛ ج٩، ص٢٧٦؛ ج٩، ص٢٧٧؛ ج١٠، ص١٢٨؛ ج١١، ص٥٨؛ ج١١، ص٨٨، ج١، ص١٣٤؛ ج١، ص١٣٠؛ ج٣، ص١٣٥؛ ج٣، ص١٦٤؛ ج٦، ص٥؛ ج٦، ص٢٩٣؛ ج٩، ص٣١-٣٥؛ ج٩، ص٥٦؛ ج٩، ص٥٨؛ ج٩، ص٦٠؛ ج٩، ص٦٤ وغيرها، وتأمل إنصاف السخاوي لهم وذِكره محاسنهم مع أن أكثرهم من كبار أقرانه.

(٣٤) انظر مثلاً: **الضوء اللامع**، ج٩، ص٢٩٥؛ ج٤، ص٣٣-٣٥؛ ج٢، ص٩-١١؛ ج٩، ص٢٩٥؛ ج٧، ص٦٣-٦٦ وغيرها.

(٣٥) عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص٩٩٢.

(٣٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٤، ص١٤٥-١٤٩. **وجيز الكلام**، ص٣٨٥، ترجمة رقم ٨٥٨. وانظر: **شذرات الذهب**، ج٧، ص٧٦-٧٧؛ بل انظره: ج٥، ص٣٣٩ حيث قال: وخالف المغاربة في حُسن الخُلق والسخاء والمذهب؟!.

(٣٧) شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١، ص١٠١.

(٣٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٨، ص١٩.

(٣٩) السخاوي، **وجيز الكلام**، حوادث سنة ٨٥١، ص٦١٤، ٨٩٨. **الضوء اللامع**، ج١، ص٢٣٤؛ ج١، ص٢٤٢؛ ج١، ص١٠١؛ ج١، ص٣١١؛ ج٦، ص١٨٦؛ ج٦، ص١٣٠؛ ج٦، ص٧٩؛ ج٨، ص١٠٦. وانظر كتاب: **مصرع التصوف**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، بإشراف: رئاسة إدارة البحوث والإفتاء، الرياض، سنة ١٤١٥هـ، حيث جَمع فيه المحقق رسائل البقاعي السابقة.

(٤٠) السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص٣٥٧. **وجيز الكلام**، ص٦٦٠. **الضوء اللامع**، ج١١، ص٧٢؛ ج٤، ص٦٥-٧٠؛ ج٤، ص٢٦٦؛ ج٤، ص٣٥؛ ج٦، ص٥؛ ج١١، ص١٤٣-١٤٥ وغيرها.

(٤١) سمير الدروبي، **شرح مقامات السيوطي**، ج٢، ص٩٤٥ وفي أماكن سيُشار إليها لاحقاً.

(٤٢) السيوطي جلال الدين، **نظم العِقيان في أعيان الزمان**، ص١٥٢.

(٤٣) انظر مثلاً ص٦٢٠ من **شرح مقامات السيوطي**.

(٤٤) ولد سنة ٨٣٥هـ، وتوفي فجأة سنة ٩٢٢هـ، **الضوء اللامع**، ج١، ص٥٩-٦٤. **شذرات الذهب**، ج٨، ص١٠٢-١٠٤. **النور السافر**، ص١٠٨. **كشف الظنون**، ج٢، ص١٠٣٤ وغيرها.

(٤٥) سمير الدروبي، **شرح مقامات السيوطي**، ج١، ص١٣٦.

(٤٦) ولد سنة ٨٢٨هـ، وتوفي سنة ٨٩٨هـ، **الضوء اللامع**، ج١، ص٧٨-٨٠.

(٤٧) ولد سنة ٨١١هـ، وتوفيِ سنة ٨٨٥هـ، **الضوء اللامع**، ج٦، ص٣٠١؛ ج١٠، ص١٢٨. الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص١٦٣.

(٤٨) ولد سنة ٨٢١هـ، وتوفي سنة ٨٨٩هـ، **الضوء اللامع**، ج٨، ص١٢٣-١٢٤.

(٤٩) انظر: أحمد عبد الغفور عطَّار، **الصِّحاح ومدارس المُعجمات العربية**، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م، ص٢١٦. وكتابَي السيوطي؛ **التحدث بنعمة الله**، ومجموعة مقاماته، في أماكن سيُشار إليها لاحقاً.

(٥٠) ولد سنة ٨٥١هـ، وتوفي سنة ٩٢١هـ، **الضوء اللامع**، ج٤، ص٣٣. **شذرات الذهب**، ج٤، ص٩٨.

(٥١) ولد سنة ٨١٠هـ، وتوفي سنة ٨٨٥هـ، **الضوء اللامع**، ج٧، ص٤٨-٤٩. وانظر: السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص١٢٨-١٦٣ وما بعدها، حيث أورد السيوطي فيها أموراً لا تليق بحق شيخه.

(٥٢) توفي سنة ٩٠٨هـ على الراجح، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٥، ص١٤٠. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج١، ص٤٠٩. عبد القاهر العبدروسي، **النور السافر**، وفيات سنة ٩٠٨هـ.

(٥٣) ولد سنة ٨٧٥هـ، وتوفي سنة، ٩٢٣هـ، **الضوء اللامع**، ج٨، ص١٤٩. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج١، ص٤١٠. العبدروسي، **النور السافر**، وفيات سنة ٩٢٣هـ.

(٥٤) حاول الدكتور بديع اللحام في كتابه "**الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه**"

التطرق إلى هذه المسألة؛ لكنه بدا واضحاً ميله للسيوطي بشدة على حساب السخاوي، انظر مثلاً ص١٣١، ١١٩، ١٣٠، ١٤٦ كما تطرَّق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف إلى هذه القضية أثناء تقديمه لكتابَي السخاوي، **تدريب الراوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م. و"**المقاصد الحسنة**"، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م. وانظر: طاهر حمودة، **جلال الدين السيوطي عصره وحياته وجهوده في الدرس اللغوي**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص١٢٧وما بعدها. **دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها**، ص١٧. ومصطفى الشكعة، **جلال الدين السيوطي ومباحثه اللغوية**، ص٨١ وما بعدها. وإياد الطباع، **الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي مَعلمة العلوم الإسلامية**، ص٨٠ وما بعدها. وانظر: **فهرس الفهارس**، ج٢، ص١٠١٠-١٠٢٢، إضافة إلى الكتب التي ترجمت لهما.

(٥٥) تحقيق ودراسة: إليزابث ماري سارتين، ونالت به شهادة الدكتوراه، طُبع قديماً بالمطبعة العربية الحديثة.

(٥٦) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص٤٣ وما بعدها.

(٥٧) انظر مثلاً: مقدمة الدكتور فيليب حتي على "**نظم العقيان**"، ص١٥.

(٥٨) السخاوي، **التبر المسبوك**، ص٣٥٧. **الضوء اللامع**، ج١١، ص٧٢. السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص٥.

(٥٩) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٤، ص٦٥.

(٦٠) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٧، ص٤٨. وانظر: السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص١٢٨، ١٦٣ وما بعدها.

(٦١) ص١٠٣ طبعة القدسي.

(٦٢) انظر: **الإمام شمس الدين السخاوي وجهوده في علوم الحديث**، للباحث، ص١٨٩ الفقرة الخاصة بكتاب "الشماريخ".

(٦٣) **المقامة المزهرية**، السيوطي، **مقامات السيوطي**، وقد كتبها سنة ٨٨٩هـ، ص١٠٤٣.

(٦٤) **مقامات السيوطي**، وقد كتبها سنة ٨٩٨هـ، ص٨٧٠.

(٦٥) السيوطي، **الحاوي للفتاوى**، ج٢، ص٣٠٧-٣٢٤.

(٦٦) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص٢٤٠ وغيرها.

(٦٧) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج٨، ص٥٣-٥٤. العبدروسي، **النور السافر**، ص٥٥. وانظر: رسالة العلامة أحمد تيمور، **قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

(٦٨) الدروبي، **شرح مقامات السيوطي**، ص٥٩٤. وانظر: مقامة **الكاوي في تاريخ السخاوي**، وكان تاريخ كتابتها سنة: ٨٩١هـ، ص٩٤٥-٩٤٩، وتحديداً ص٩٤٧.

(٦٩) السيوطي، **حُسن المحاضرة**، ج١، ص١٩١. **التحدث بنعمة الله**، ص٢٤٧ وغيرها.

(٧٠) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص٢٠٤. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٤، ص٦٥-٧٠. وانظر: **مقامات السيوطي**: "**الكاوي في تاريخ السخاوي**"، ص٩٤٢.

(٧١) ولد سنة ٧٢٥هـ، وتوفي سنة ٨٠٦هـ، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٤، ص١٧١-١٧٨. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٥٤٣، ٥٤٨. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص٨١٤.

(٧٢) السيوطي، **حُسن المحاضرة**، ج١، ص١٩٠. **التحدث بنعمة الله**، ص٤٥. **طبقات الحفاظ**، ص٥٥٣. وانظر: **فهرس الفهارس**، ج١، ص٥٣٠. و**معجم المؤرخين المسلمين**، ص٩٧.

(٧٣) انظر: **الضوء اللامع**، ج١٠، ص٣١٣، ٣١٧ وغيرها من تراجم مما قد تمت الإشارة إلى بعضه.

(٧٤) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص١٠٥-١٣٦.

(٧٥) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص٢٠٣. و**حُسن المحاضرة**، ج١، ص١٩٠.

(٧٦) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، في النحو، مجمع اللغة العربية، دمشق، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، مقدمة المحقق، ص٢٠٣.

(٧٧) السيوطي، **الرَّد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض**، تحقيق: خليل الميس، دار الكُتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص١١٦. محمد الصالح الصدِّيق، السيوطي وكتابه في الاجتهاد، مقال في **مجلة الدراسات الإسلامية** الصادرة عن

مجمع البحوث، إسلام آباد، ع٤، أكتوبر - ديسمبر، ١٩٨٩م، ص٤٢.

(٧٨) السيوطي، **الشماريخ في علم التاريخ**، نشره: إبراهيم السامرائي، المجلة التاريخية، ع١، ١٩٧٠م، ص١١. وانظر: إسماعيل نوري الربيعي، **منهج السيوطي التاريخي في كتاب الشماريخ**...، مقال في مجلة "المنهل"، ع٥٢٤، صفر ١٤١٦هـ.

(٧٩) الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص١٠١٠ وما بعدها.

(٨٠) **المصدر السابق**، وانظر: السيوطي، **تدريب الراوي**، ج١، ص٤٩-٥٢ وغيرها.

(٨١) السخاوي، **المتكلمون من الرجال**، ضمن "**أربع رسائل في الجرح والتعديل**"، جمع وتحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٤، ١٩٨٣م. السخاوي، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، ج٣، ص٣٥٥.

(٨٢) السيوطي، **نظم العقيان**، مقدمة المحقق، ص١٨. وانظر كلاماً في هذا السياق للشيخ خليل الميس في تقديمه لكتاب "**الرد على مَن أخلد إلى الأرض**..."، للسيوطي، ص١١ وما بعدها.

(٨٣) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج١، ص١٨٧ وما بعدها.

(٨٤) أبو حامد محمد بن محمد، ولد سنة ٤٥٠هـ، وتوفي سنة ٥٠٥هـ، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص٢١٦.

(٨٥) السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج٢، ص١٠٣، ١٠٥. **التحدُّث بنعمة الله**، ص٢٢٧. وانظر: السخاوي، **المقاصد الحسنة**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٢٠٤.

(٨٦) السيوطي، **الحاوي في الفتاوي**، ج٢، ص١٠٤. وانظر: مقدمة الدكتور فيليب حتى على "**نظم العقيان**"، ص١٦- ١٧. محمد الصالح الصدِّيق، "الحافظ جلال الدين السيوطي وكتابه في الاجتهاد"، **مجلة الدراسات الإسلامية**، إسلام آباد، ع٤، ١٩٨٩م، ص٤٣ وما بعدها.

(٨٧) السيوطي، **التحدُّث بنعمة الله**، ص٢٠٣، ٢٠٥-٢٣٤.

(٨٨) سمير الدروبي، **مقامات السيوطي**، ص٩٥٨ وما بعدها.

(٨٩) الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص١٠١٠-١٠٢٢.

(٩٠) انظر: السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، ج٢، ص١٧٨، ٣٠٧. السخاوي، **الأجوبة المَرضية**، تحقيق: محمد إسحاق إبراهيم، دار الراية، الرياض، ط١، ١٩٩٧م، ج٣، ص١١٠٠-١١١٥، مسألة رقم ٣١٥.

(٩١) السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٥٦٧.

(٩٢) انظر: السيوطي، **تدريب الراوي**، ج١، ص١٤٣-١٥٠ ففيه كلام وافٍ عن هذا.

(٩٣) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**، ص٧. السيوطي، "**الكاوي في تاريخ السخاوي**" من "**شرح مقامات السيوطي**"، ص٩٥٢. شعبان مُرسي، "نقد المجتمع في المقامات العربية"، **مجلة حولية الجامعة الإسلامية العالمية**، ع٣، ١٩٩٥م، ص٢٨٧-٢٩٠.

(٩٤) السخاوي، **المقاصد الحسنة**، ص٢٠٤. وانظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١، ص٤.

(٩٥) ولد سنة ٥٦٠هـ، وتوفي سنة ٦٣٨هـ، قال الذهبي: هو قدوة القائلين بوحدة الوجود، الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٢٨١.

(٩٦) ولد سنة ٥٧٦هـ، وتوفي سنة ٦٣٢هـ، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٤٥٤. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٥، ص١٤٩. الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٢١٦.

(٩٧) قُتل ببغداد سنة ٣٠٩هـ بعد أن اتُّهم بالزندقة، أبو عبد الرحمن السُّلَمي، **طبقات الصوفية**، تحقيق: نور الدين شريبة، المكتبة الأثرية، باكستان، ص٣٠٧.

(٩٨) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص١٨٧.

(٩٩) السخاوي، **وجيز الكلام**، حوادث سنة ٨٧٤هـ، ص٨١١-٨١٢، ص٩٤١ من حوادث سنة ٨٨٨هـ.

(١٠٠) السخاوي، **المقاصد الحسنة**، ص٦٧. عَقِب كلامه على حديث إحياء أبوي النبي ﷺ، وانظر: السخاوي، **الأجوبة المرضية**، ج٣، ص٩٦١-٩٧٦، مسألة رقم ٢٧٥.

(١٠١) سمير الدروبي، **شرح مقامات السيوطي**، ص٥٦٧، ٥٩٠، ٣٩٤ وما بعدها. وانظر: السيوطي، **الرسائل التسع**، دار إحياء العلوم،

بيروت، ط١، ١٩٨٥م، الرسائل الست الأولى. والحاوي للفتاوي، ج٢، ص٢٤٤ وما بعدها.

(١٠٢) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص٢٤١.

(١٠٣) توفي سنة ١١٠هـ، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط٤، ١٩٧٠م، ج١، ص٧١.

(١٠٤) استشهد في رمضان سنة ٤٠هـ، وله من العمر ستون سنة، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج١، ص١٠-١٣.

(١٠٥) السخاوي، **المقاصد الحسنة**، ص٥٢٧، حديث "لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن لبسها من علي"، الشيخ عبد القادر عيسى، **حقائق عن التصوف**، المطبعة الوطنية، عمان، ط٤، ١٩٨١م، ص٦٣٢ وما بعدها. السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، ج٢، ص١٢٢ وما بعدها.

(١٠٦) متهم بالوضع، ولد سنة ٣٢٥هـ، وتوفي سنة ٤١٢هـ، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١٧، ص٢٤٧-٢٥٥. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر، بيروت، ج٤، ص٤٤٣. البغدادي، **تاريخ بغداد**، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، ص٢٤٨. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٤١١.

(١٠٧) السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٢٨٦. الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٢٧٢.

(١٠٨) ولد سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ، السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٥٢١. وانظر: التحقيق النافع عن اسمه للشيخ أبي غدة رحمه الله؛ في "**أربع رسائل في علوم الحديث**"، ص٣٢-٤٦، و١٤٤-١٤٩.

(١٠٩) السخاوي، **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص١٣٨. والسيوطي، **الحاوي للفتاوي**، ج٢، ص١٧٨، ٣٠٧. **الرسائل التسع**، ص٢٤٥ وما بعدها.

(١١٠) السيوطي، **المهذَّب فيما وقع في القرآن من المُعرَّب**، تحقيق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص١٩. وقد طُبع كتاب "المتوكِّلي" سنة ١٣٤٨هـ، بمطبعة الترقِّي، دمشق، انظر: **دليل مخطوطات السيوطي**، ص٤١.

(١١١) السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، ج١، ص٢٣٩ وما بعدها.

(١١٢) **المرجع السابق**، ج١، ص١٥٨ وما بعدها.

(١١٣) **المرجع نفسه**، ج١، ص ١٣٥ وما بعدها.

(١١٤) وانظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج١، ص٢.

(١١٥) السيوطي، **الرسائل التسع**، ص٢٦٩ وما بعدها، مرجع سابق.

(١١٦) السيوطي، **الكاوي في تاريخ السخاوي**، ص٩٤٠. وانظر: السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، ج٢، ص٣٣٨ وما بعدها. السخاوي، **الأجوبة المَرضية**، ج٣، ص٩٥٧-٩٦٠، مسألة رقم ٢٧٤٠. وانظر: **الضوء اللامع**، ج٢، ص١٧٤-١٧٨. **وجيز الكلام**، ص٧٩٤.

(١١٧) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص١٦٠-٢٠٢، ص٢٢٨. **تدريب الراوي**، مقدمة المحقق، ج١، ص١٧-٢٨. إضافة إلى: "**الحاوي للفتاوي**" و"**الرسائل التسع**" فيما تقدَّمت الإشارة إليه من صفحات، وغيرها.

(١١٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١، ص٨٨-٩٩؛ ج٤، ص٦٧. **وجيز الكلام**، أحداث سنة ٨٧٨هـ، ص٨٤٧. السيوطي، **التحدُّث بنعمة الله**، ص٨٠.

(١١٩) ابن مبارك، **خطط مبارك**، ج١٢، ص١١ وهي الخزانة التي أنشأها الأستاذ محمود بن علي الأستادار، سنة ٧٩٧هـ.

(١٢٠) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٤، ص٦٥-٧٠. السيوطي، **تدريب الراوي**، مقدمة المحقق، ج١، ص١٣-٢٨. الشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٣٢٩-٣٣٤.

(١٢١) ابن مبارك، **خطط ابن مبارك**، ج١٢، ص١٥.